الأعلام من الأدباء والشعراء



سليمان العيسى

منشد العروبة والأطفال

تأليف
إيمان يوسف بقاعي

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الأعلام من الأدباء والشعراء

سليمان العيسى

منشد العروبة والأطفال

تأليف

إيمان يوسف بقاعي



دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ - تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ - ٨١٥٥٧٣ - ٨٦٨٠٥١
فاكس: ٤٧٨١٣٧٣/١٢١٢/٠٠ - ٦٠٢١٣٣/٩٦١١/٠٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

بقلم: الدكتور رفيق عطوي

بين الشعر والثورة، علاقة وِدّ تَغرِفُ الأصالة من وَهْج المعاناة.

وشاعرنا سليمان العيسى، عاشق حريّة، وفارس غُربة، وشاعر أمة.

في شعره بعض ذاته، هذه الذات المتوثّبة أبداً نحو القِمّة، يحمل آلام الأمة، والآمال. لا يهدأ، لا يلهو، لا ينثر أحلاماً فوق مساحات العبث، أو ضمن الجدليات البراغماتية الغارقة، حتماً، في لعبة انحراف الوجود العربي نحو التهميش.

عرفت سليمان العيسى، جناناً، وأنا بعد في عهد الطلب، حيث الأمة من المحيط إلى الخليج تشهد بزوغ فجرها القومي الصحيح. فكان شعره نبراساً أضاء تألّقنا الثوري حينذاك.

وعرفت سليمان العيسى عياناً منذ عامين، في صنعاء. وتحديداً في مكتب الأخ الدكتور عبد العزيز المقالح، مدير جامعة صنعاء.

لقد أذهلتني المفاجأة!.

دخلت مكتب الدكتور المقالح، فإذا بجانبه رجل مجلّلٌ بالوقار، قد نيّف على السبعين، وعلى محياه ابتسامة مسمّرة. فخالجني شعور شديد بمعرفة هذا الرجل. وكأنّي بالدكتور المقالح قد أدرك بذكائه

المعهود، حقيقة مشاعري، فابتسم وقال لي: إنه سليمان العيسى، الشاعر العربي الكبير.. وقدّمني إليه.

تسمّرت عيناي في الرجل للحظات.. تَرَدَّدَتْ خلالها في خاطري أصداء قول شاعرنا:

شمس العروبة إن تطيقي الظلم بعد اليوم، غيبي
غيبي. سنصنع للدنى شمساً تضيء بلا غروبِ..

ثم دار حديث عن لبنان بكل أحزانه وأحلامه... والشاعران المقالح والعيسى يحبّان لبنان ويقدّران دوره الثقافي والحضاري في دنيا العرب والعالم.

وما دام الحديث عن سليمان العيسى الإنسان والشاعر، فلن يغيب عن بالي ذلك النبأ الغريب الذي حمل الى العالم استشهاد سليمان العيسى خلال أحداث مدينة حلب، إثر انفصال الوحدة بين مصر وسوريا، وضياع حلم عربي كبير. فانبرى الشعراء يرثون الشاعر العربي الكبير.. ولكن تبيّن بعد أيام أن الشاعر العيسى ما زال حيّاً يرزق.. فكان أول شاعر يسمع رثاه وهو على قيد الحياة. وأذكر في هذا المجال ما قاله شقيقي الشاعر الدكتور فوزي عطوي في رثاء سليمان العيسى:

بدمي، بلوعة، أمتي، بشقائي
بعروبتي، بعقيدتي، بإبائي
باسم الملايين التي ظمِئَتْ الى
رقراق شعرك قد نظمت رثائي

غـــرّيـــدَ أمّـــتنا وشـــاعـــرَ شـــعـــبنا
مـاذا تـركـت لـسـائـرِ الـشـعـراءِ..

ولئن غنّى الشاعر سليمان العيسى للأطفال. فالأطفال هم الأمل الطالع، والخير الآتي للأمة. هم حلم الشاعر، يطربهم بالصوت الدافئ، وبالكلمة العليّة. كي لا تغرقهم ألفاظ الدهشة والغربة، وعبارات القهر أو الظلمة. علّه يبلغ في مسعاه، توجيه مسار الأطفال نحو القِمّة... وحسبي في هذا قول الشاعر في «رمال عطشى»:

يـقـولـون: غَـنِّ الـهـوى والـشـبـاب
ومـــا كـــنـــتُ يـــا وطـــنـــي أجـــرِمُ
تـــشـــرّدْتُ طـــفـــلاً... ولـــن أرتـــضـــي
مـصـيـري لـطـفـلـي غـداً يُـقْـسَـمُ

وبعد،

فإن هذا الكتاب «سليمان العيسى شاعر العروبة والأطفال» للسيدة إيمان بقاعي، يمثّل دراسة واعدة، وإضاءة طيبة، وجهداً مباركاً، وتحية وفاء لرجل أعطى العروبة عمره، وشدا ألحانها، وغنّاها أناشيد النضال، فأغنى بها تاريخنا الأدبيّ شعراً قومياً ملهماً، عليه من الخلود مطارف لا تبلى.

د. رفيق عطوي

٩٣/١٢/٢٠

سليمان العيسى

«غناء الذكريات»

خلّفنا البيدَ العطشى

ودّعنا الرملَ الأغبر

ولَهاةَ الصحراءِ الحرّى

وبساطَ الرمضاءِ الأحمر

هاني يا أيكةُ ظلّيكِ

مدّي يا شامُ ذراعيكِ

الغوطةُ أقداحٌ ومدام

والجنّةُ عصفورٌ يا شام

في صدرك

عصفورٌ أخضر

حُلُمٌ يصحو...

حُلُمٌ يسكر...

يا نهرَ السحرِ... سلام!

يا أرضَ العطرِ... سلام![1]

---

(١) سليمان العيسى، ابن الابهم، الإزار الجريح ــ شعر ط١ ١٩٦٦، ص ٢٥ .

وللنَبراتِ أجنحةٌ...

وللكَلِمِ أجنحةٌ تطير... تطير ويعود النشيد من جديد...

نشيد فيه الكثير من الموسيقا والحب... الحب للّقاء! الشام والغوطة والغلل والأحلام تتالى... الحداةُ ينشدون. الحداةُ يواصلون النشيد:

عدنا يا شامُ من السفرِ

عدنا بفراشات السَحَرِ

بضفائرَ... كانت للقمرِ

كانت لصبايا الجانْ...

زرْقٌ كالصّحْوِ حسانْ

خُضرٌ كرؤى بستانْ

روّاهُ كوثرِكِ الاسمرْ[1]

فسقى الدنيا... ومضى يسكره

الجنة عصفورٌ يسكرْ

في صدركِ، عصفورٌ أخضرْ

يا شامُ... سلام!

يا أرضَ المجدِ...

سلامْ![2]

الأمكنة تغنّي... الجغرافيا تغنّي...تتحول الجغرافيا ذكريات

---

(١) اشارة الى نهر بردى.

(٢) سليمان العيسى، ابن الابهم، الإزار الجريح ــ ص ٢٧-٢٨ .

نابضة... من الشام إلى «النُعيريّة» البعيدة خمسة عشر ميلاً من مدينة انطاكية التاريخية، وُلِدَ سليمان العيسى...

كانت القرية فقيرة ولكنها كانت جميلة جميلة...

ولابد وأن جمالها أثّر في شاعريته

لابد وأن جمالها غرس الحروف رنانة في كلماته...

«النعيرية» الولادة...

و«النعيرية» الاقتلاع...

مَنْ يسرق لواء الاسكندرون؟...

مَنْ يسرق الذكريات؟...

هل تسرق الذكريات؟...

«حلوٌ كالحبِّ عتابُ منى[1]

أهلاً بخيالكِ... طفلتنا

يا للذكرى... تعلوي الزمنا

وتجدّد شطراً... من عمري!

أيام عَصَفنا... في الدنيا

لهباً، ورغائبَ من جَمْرِ

أيام تصبّانا الجَبَلُ

والخدُّ الأسمرُ، والغَزَلُ

وليالي القريةِ، والزجلُ

(١) صديقة الشاعر وقد ارسلت له رسالة عتاب من قريتها.

إذ نبدؤها عند العصرِا
ويضيع الموكبُ في عرسٍ
والسكرُ يصحو من سكرِ

بالروحِ... صباباتٌ نشوى
خفقت بالحب.. كما نهوى
فكانت، بل ما زالت سلوى

لكفاحٍ، ملتهبٍ، مرٍّ!
خضناهُ في الشوك الدامي
ثوراتِ جراحاتٍ حمرِ

إذن فالذكريات عند الشاعر تبقى سلوى تبلسم جراحَ الايام القاسية... تبقى حلاواتٍ من طفولة عذبة..تبقى تمسح الجراح..

في كلِّ مَطَلٍّ أو دربِ
أصداءٌ.. من مَرَحٍ عذبِ
وخيالٌ.. يومىءُ للصحبِ

أنّي لم أقوَ على الهجرِ
عودوا فالقريةُ بعدكُمُ
قد أرهقها صمتُ القبرِ

مضتِ الذكرى... عاماً، عاما
وبقينا فيها... أنغاما
قصصاً للحبِّ... وأحلاما

صحيح أن الذكرى مضت لكن الصغار الذين صاروا كباراً بقوا أنغاماً فيها وأحلاماً وقصصاً ورغبة في العودة الى الطفولة إلى كل ما هو جميل وبسيط وصافٍ...

«سنعود الى النبع الصافي
ونسيرُ مع الراعي الحافي
بأريجِ العطرِ الهفافِ
لن تَتحطَمَ أغلال الشرِّ
سنعود لنبدأ ثورتنا
في كوخ الحطّاب المزري»[1]

ماذا يريد سليمان العيسى «وقصائده تنضح بالذكريات؟ ها هو أيضاً يعود في الذاكرة إلى زاوية هادئة لأحد اصدقائه في «المقهى الهرم بدمشق» فتراه يسترجعُ الذكريات بشكلٍ حيوي رائع وكأنها صورة متحركة تراها بأمّ عينيك:

«سعياً للأمسِ...أخا الجامِ
وسلامٌ... يا ليلَ الشامِ
إلهامٌ... ذابَ بإلهامِ
وكؤوسٌ تعبقُ بالسّحرِ
وشبابٌ للدنيا ظامي»

ويخاطب صديقه:

---

(١) قصيدة «القرية ومنى» كتبت عام ١٩٥٣ .

«اجلس.. تَسبقك «النرجيلة»
وأبو عدنان[1] .. فتى حيلة
ولقد تعييك «التشعيلة»
وترنِّقُ «نارُك» فاصطبر
فلكلِّ عسيرٍ.. تذليله»

ويتابع بروعة وصف صورة النرجيلة ونفثاتها التي تجلو أفكار المتأمل كما يقول.. يعرف الامر من يدخنها ويعرف الامر من يستوحيها:

«ومع النفثات النوّارة
يجلو المتأمل أفكارهْ
ويصافح قَلبٌ أسرارهْ
فإذا هو في لُجّ الفِكَرِ
نغمٌ يتلمس أوتَارَهْ»

* * *

وهذه الذكريات حميمة ملحّة.. يسرق الشاعر فيها نفسه إليها.. يعيشها.. بل يتمنى أن يعيشها..ولكن حين لا يفعل.. نراه يرجو صاحبه أن لا يترك هذا المقهى الهرم.. هذا المقهى الذي يستحق الحب والوفاء من كل منْ يرتاده سئماً محمّلاً بالألم.. ويرجوه أن يبقى وفياً له فهذا الوفاء هو النور الذي يضيء ظلام الليل:

---

(١) صاحب المقهى

«لا تبرح «مقهانا» الهرِما!
أهوى فيه حتى السأما
بالمرهَقِ مثلي والضّجرِ
وبمن حُرموا.. إلا الألما

***

جدِّد فيه نار «النَفَسِ»
وبقلبِ المأساةِ انغمسِ
إن لم نكُ نحن سنا القَبسِ
في هذا الليل المعتكرِ
وا لهفا.. للركب التعسِ»[1]

رحلة الذكريات لا تنتهي مع شاعرنا.. وكيف تنتهي والاقتلاع ديدن الحياة.. والاقتلاع خنجر مغروس

«الخنجران[2] بصدري
كان نزفهما
عمري.. أحب به طفلاً وأضطَغِنُ
الخنجران.. ويافا مِثلُ حارتنا
خلف السلاسِلِ.. لا أهلٌ ولا سَكَنُ
بعيدةٌ.. عتباتُ الحلمِ.. يا وطني

---

(١) قصيدة الجسر والمقهى الهرم ـــ نظمت عام ١٩٥٤ .

(٢) الاشارة الى لواء الاسكندرون وفلسطين.

صحراء يلهثُ فيها الفكرُ والظنُ
أرتدُّ طفلاً
أدقُّ الصخر منتظراً
صحوَ الينابيعِ
يبكي قبضتي الوَهَنُ»[1]

فالذكريات الحلوة تستعاد..
كذلك الذكريات المريرة..
الجرحُ لا يُنسى.. كيف ينساه شاعر؟..

لواء الاسكندرون، فلسطين، يافا، حارة الشاعر كلها في الهمّ سواء.. كلها في الحزن سواء، الحزن يجلبُ الحزن. والأسى يبعثه الأسى، لكنما العودة إلى عالم الأحلام المستحيلة أحياناً هي مجرد عودة بريئة لعالم الطفل الذي يدق الصخر يريد الماء ينبعث من دَقته تلك..

ينتظر انفجار الماء.. انفجار الينبوع.. يدق بعد.. ولكن ها هي القبضة الصغيرة تتألم.. والصخرة جامدة قاسية والينبوع؟.. أين الينبوع؟..

يكبر شاعرنا وما زال صغيراً يحمل في جعبته الذكرى
يصير في الخمسين وهو ما زال صغيراً..

(١) قصيدة أمشي و تنأين ـــ أنشدت في مهرجان الشعر الخامس عشر الذي أقامه اتحاد الأدباء والكتاب العرب بصنعاء في ١٩٨١/١٢/١ .

للوطن يغني كما كان يغني عندما كان طفلاً..

للوطن الكبير يغني كما حاول لأول مرة في قصيدته الأولى المهداة من «فم العاصي» الى اليمن والخليج والوطن الكبير.. الحلم الكبير..

الذكريات؟..

«أشدُّ عليكَ.. في الخمسين.. طفلاً يكبر الالمُ
وتكبرُ أنتَ.. والحلمُ
على قرميد ضيعتنا.. هو الحلمُ
كأني ما أزالُ على فم «العاصي» تراتيلا
أُجرِّبُ أن أدقَّ على المحيط قصيدتي الأولى
وأنشرَ نارَ قافيتي على اليمنِ
وأسمعَ في الخليج دويَّ أحلامي ويسمعني
أنا الطفلُ الذي ما زال يكبرُ فيكَ محترقا
فخذ حدقي لأبصرَ فيكَ، وأكبُر في دميَ زَهَقا»[1]

لنعد قليلاً الى طفولة الشاعر..

جاء في خاتمة الديوان الشعري «كلمات مقاتلة» للشاعر سليمان العيسى، الصادر عن دار العودة بيروت عام ١٩٦٩ وتحت عنوان «الشاعر في سطور» ما يلي:

---

(١) سليمان العيسى ــ اغان بريشة البرق ــ قصيدة أقاتل باسمك العربان.

- سليمان أحمد العيسى: ولد عام ١٩٢١ في قرية النعيرية على ضفة نهر العاصي غربي انطاكية..

- كان في مدرسة انطاكية الابتدائية حين اشتعلت الحركة العربية الثورية في لواء الاسكندرون شمالي سوريا دفاعاً عن عروبة هذا الجزء الذي أهداه الاستعمار الغربي إلى تركيا عام ١٩٣٧.

- هاجر بعد اغتصاب وطنه الصغير إلى دمشق.

- وأتم دراسته الثانوية في حماة واللاذقية ودمشق. وعرف في هذه الفترة مع رفاقه اللوائيين مرارة التشرد وقيمة الكفاح.

- شارك في تأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي وهو طالب ثانوي عام ١٩٤٠.

- طرد من المدرسة ودخل السجن غير مرة لمشاركته في المظاهرات الوطنية واشعاره الملتهبة التي كان يلقيها في الجماهير.

- أنهى دراسته الجامعية في دار المعلمين ببغداد.

- عيّن مدرّساً للأدب العربي في ثانويات حلب عام ١٩٤٧. وانتقل الى دمشق مفتشاً أول للغة العربية بوزارة التربية في مطلع ١٩٦٧.

- كانت حياته وما تزال موزعة بين التدريس والشعر والكفاح القومي..

- من مؤلفاته: مع الفجر ــ شاعر بين الجدران ــ ثائر من غفار ــ قصائد عربية ــ صلاة لأرض الثورة ــ أمواج بلا شاطىء ــ ديوان

الاطفال ـــ كلمات مقاتلة ـــ أغانٍ بريشة البرق..

- ونذكر أنه اتجه إلى كتابة شعر الاطفال بعد نكسة حزيران عام ١٩٦٧ وكتب قصة طفولته شعراً ثم كتبها نثراً للاطفال.

الأولى بعنوان: أحكي لكم طفولتي يا صغار.

والثانية بعنوان: وائل يبحث عن وطنه الكبير.

- وفي تشرين الأول من عام ١٩٨٢ حصل على جائزة «لوتس» للشعر من اتحاد كتاب آسيا وافريقية.

وفي عام ١٩٩٠ انتخب بالإجماع عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق..

يكبر سليمان العيسى
لكنه يعيش الذكريات

«مضت الذكرى... عاماً عاما
وبقينا فيها.. أنغاما
قصصاً للحب... وأحلاما»

يكبر سليمان العيسى
لكنه أبداً يُسمعنا
غناء الذكريات.

ثقافة الشاعر

«كان والدي الشيخ أحمد، رحمه الله أستاذي الأول، بل أستاذ القرية كلها، والقرى المجاورة.

لم يكن في قريتنا مدرسة.

بل لم يكن في الريف كله مدرسة واحدة في تلك الايام. المدرسة الابتدائية الوحيدة في المدينة، في كتّاب الشيخ أحمد، أعني في بيتنا. حفظت القرآن عن ظهر قلب، لأني كنت أساعد والدي في مذاكرة التلامذة.

فكانت السورة الواحدة من سور القرآن تعاد أمامي من عشرين إلى ثلاثين مرة.

فلا عجب أن ترسخ في الذاكرة آياتها. وأن ترسخ معها بنية العربية وأسسها المتينة في أعماق الطفل الصغير ابن السادسة أو السابعة.

وفي «الكتّاب» أتقنت الخط، وتعلمت عمليات الحساب الأربع، وحفظتُ الجزء الثاني من مبادىء العربية في الصرف والنحو للمعلم المرحوم رشيد الشرتوني.

ورحتُ استظهر عشرات القصائد من الشعر العربي قديمه وحديثه..

ومن المعلقات.. الى شعراء العصر العباسي.. الى شوقي وحافظ وخليل مطران والرصافي والزهاوي وبدوي الجبل..

كانت مجلة العرفان التي تصدر في صيدا ومجلة الهلال المعروفة من بين المجلات القليلة النادرة التي كانت تصل الى قريتنا.

كان الشيخ أحمد يبذل قصارى جهده ومعظم ما يدخره من نقود زهيدة ليأتي ببعض أعداد هاتين المجلتين من المدينة. وما يكاد العدد من أية مجلة يصل الى البيت حتى نلتهمه التهاماً فلا نترك فيه كلمة إلا قرأناها وأعدنا قراءتها وحفظنا ما فيها من شعر عن ظهر قلب.

كنت أحب الشعر..

وكيف لا أحبه، وأبي شاعر ينظم قصائده ويكتبها بخط جميل، ثم يغنيها مساءً عندما تجتمع الأسرة على موقد النار؟..

ولطالما اجتمع عندنا فلاحو القرية وأنشدهم والدي قصائده إنشاداً بصوته الرخيم.

فكان ديوان المتنبي، هذا الشاعر العربي الكبير، رفيق طفولتي، أقرؤه على أبي، وأستظهر كل يوم قصيدة، أو جزءاً من قصيدة منه، ثم أغني ما أحفظ بصوت حلو رقيق:

أرق على أرق، ومثليَ يأرقُ وجوىً يزيد، وعبرةٌ تترقرقُ

ولم أكن أدرك معنى هذه الكلمات: الأرق، الجوى، العبرة التي تترقرق، ولكنني كنت أحس إحساساً غامضاً أني أحفظ شيئاً جميلاً جداً، وأن الأمة التي ابدعت مثل هذا البيان الرائع لا بد أن تكون أمة رائعة..(١)

---

(١) في قضايا الشعر العربي المعاصر ــ دراسات وشهادات ــ تونس ١٩٨٨ ــ ص ٢٦٥-٢٦٦

وفي التاسعة أو العاشرة - لا أذكر أيضاً - بدأت كتابة أولى قصائدي، تحت اشجار التوت والتين في حارة بساتين العاصي وعلى ضفاف نهر العاصي، جاري ورفيقي الذي لا أنساه.

كانت قصائد الطفولة تتحدث عن هموم الفلاحين وبؤسهم وكفاحهم في سبيل اللقمة.

كانت تحمل بذور الثورة على هذا الشقاء الذي لا يعرف أحد كيف حلَّ بهؤلاء المساكين ولا يجرؤ أحد أن يناقش أسبابه.

كان الطفل الشاعر يهتف ببراءة وهو دون العاشرة:

«ألا أيها الفقراء موتوا
لكم في جنة الفردوس قوتُ
لقد بنيت لكم ثَمَّ لبيوتُ
وكوثركم بها يجري شهيا»[1]

وكان للأرسوزي الدور الاكبر في إغناء ثقافة شاعرنا وتوجيهها فاستغرق شاعرنا مع الفيلسوف الالماني فيخته ومع نيتشه و «زرادشته» الذين أشار عليه بهما أستاذه..

وكذلك قرأ الأدب الانكليزي بمساعدة صديقه بدر شاكر السياب الذي أحبه جداً والذي عقد معه صداقة جيدة في بغداد وقد تبادلا المعلومات، فسليمان يطلع السياب على ملامح الادب الفرنسي

---

(١) نفسه ص ٢٦٨ .

والسياب على ملامح الشعر في الادب الانكليزي وحين توفي صديقه السياب رثاه بمرارة...

رثى شعره المضيء «لرحاب البؤس»

رثى كلماته «الحمر».. رثى في صديقه القمم التي تخضر وتورق به:

يا شاعر النبرةِ السمراء يحملُها
إلى الخلودِ جناحٌ ليس ينهزمُ
غمستَ قلبكَ في المأساةِ فانسكبت
نُعمى تضيء رحابَ البؤسَ تنتقمُ
نحن العطاشُ.. وتسقي الأرض زفرتنا
ويبعد الطيفُ.. لا شكوى ولا ندمُ
من شهقةِ الكلماتِ الحمرِ.. من دمنا
تخضرُّ يا بدر، تحيا.. تورق القممُ..

مات بدر.. وما ماتت ذكراه..

مات بدر، وما مات بيرون وشيلي وكيتس وردزروث.

مات بدر، وما مات الشعر المقروء من ينابيعه الانكليزية والفرنسية والأمريكية.

مات بدر، وما ماتت ذكراه..

نعم! الذكريات عند سليمان العيسى أبداً لا تموت.

هي تحيا في أعماق أعماقه.. في الطفل الكامن فيه..

هي تحيا كي تنشد كل يوم أناشيدها الوضّاءة..

قضية العروبة

يتحدث شاعرنا في باقة نثر «وائل يبحث عن وطنه» عن كيفية اكتشافه للتاريخ ذلك العلم الهام جداً كي يقرأ الانسان جذوره..

كي ينبش ماضيه، ماضي أجداده، ويعيش إضاءاته، يحاول من خلالها استجلاب المواقف المشرقة.. ربما مقارنتها وربما استمداد النسغ منها..

في بغداد درس شاعرنا التاريخ وعاد إلى كتب التراث: ابن خلدون.. اليعقوبي.. المسعودي.. ابن الاثير.. الطبري.. وعشرات مصادر الكتب.

درس التاريخ بطريقة منهجية علمية...

«وذات صباح» يقول شاعرنا، في «وائل يبحث عن وطنه الكبير»: «وقع في يد وائل كتاب من كتب التاريخ.

يا للمفاجأة الحلوة! لا يذكر عنوان الكتاب بدقة، ولكنه كان بالتأكيد يتحدث عن تاريخ العرب، وأمجادهم القديمة.

أخذ الصغير الكتاب وضمّه الى صدره بحنان وإجلال.

ثم انطلق الى البستان واختار ظل شجرة من اشجار التوت الوارفة الاغصان، وجلس تحتها وأخذ يقرأ.

ساعة.. ساعتان.. ثلاث ساعات..

لم يشعر وائل بالوقت.. ولا أحس شيئاً مما كان يدور حوله. لقد انتصف النهار وما زال غارقاً في الكتاب يقرأ بنهم ولذة.

إن أباه وأمه سيفتقدانه إذا تأخر كثيراً، ولكنه لم يهتم لذلك. وتابع القراءة حتى مالت الشمس الى المغيب عندئذٍ طوى الكتاب وضمه الى صدره كأنه يضم كنزاً صغيراً امتلكه فجأة، وعاد في صمتٍ وشرود.

لم يسأله أحد أين كنت؟..

كان أهله يحبونه ويعرفون شروده وحبه للعزلة أحياناً.

وفي صباح اليوم التالي انطلق وائل بكتابه العزيز الى شجرة التوت، وواصل القراءة.

وتوالت الايام..

والصغير يقرأ الكتاب ويعيده حتى كاد يحفظه عن ظهر قلب ثم أخذ يجمع رفاقه الصغار في القرية، ويقص عليهم بعض الحوادث والبطولات العربية».[1]

يقرأ سليمان التاريخ.. يقرأ وائل التاريخ ويقصّه على رفاقه عندما كان صغيراً.. ويقصّه على قرّائه عندما صار كبيراً..

لا يقصّ المرء شيئاً لم يتفاعل معه!

أحببت «أبا محجن الثقفي»

أحببتُ الفارسَ الضائع..

---

(١) باقة نثر (وائل يبحث عن وطنه الكبير) ص ١٦-١٧

كتبتُ مسرحيته، أو لحانه الأربع عشر في أسبوع ورحتُ اتحدث اليه..

كأني اتحدث الى صديق قريب.. قريب..

فكان يعيش معي في كل لحظة، في كل خاطرة.

ثم القيت الدفتر المخطوط..

تركته جانباً يقرؤه الصغار، ويتخذ الكبير نسخةً منه لنفسه.

وفتحتُ «الأغاني» [1] عَرَضاً..

أقلّب صفحاته دونما هدفٍ أرمي اليه

كمن يخطر على باله أن يعبث بشيء..

بعد عمل مجهد..

ووقفت فجأة أمام هذا العنوان:

«أخبار حسّان وجبلةَ بن الأيهم»

وأخذتُ أقرأ بدقة.. وعلى مهل

طالعت الفصل كله.. وابتسمت

«ابن الأيهم»

مجنون آخر.. تجربة جديدة..

لعله هو الذي أبحث عنه أيضاً..

سأعيد القراءة..

سأقف عند كل كلمة..

---

(١) الأغاني لأبي فرج الأصفهاني.

والقصة معروفة، حفظناها ونحن صغار:

جبلة بن الايهم، آخر ملوك الغساسنة في الشام، يعلن إسلامه، ويذهب الى الحجاز. يرحب به الخليفة عمر بن الخطاب في حرارة، ثم يصطحبه معه الى الحج. وفي أثناء الطواف حول الكعبة، يدوس رجل من بني فزارة إزار الملك الغساني، فيغضب، ويرفع يده فيهشم له أنفه..

ويشكوه الفزاري الى عمر..

فيطلب منه أن يرضيَ الرجلَ، أو يُقيدَهُ منه..

وكيف يقيده؟..

يأمر بهشم أنفه، كما فعل هو بغيره..[1]

وها هو عمر بن الخطاب يخاطب الملك كما تصوّر شاعرنا:

«عمر: يا بنَ أيهمْ!

ليس في قبضتنا إلا سلاحْ

في يمين الله

لامعٌ حدّاهْ

اسمه الحقُّ الصراحْ

وهوَ، لو تعلمُ، أمضى

من سيوفِ الارضِ، من صولتها،

(١) سليمان العيسى ـــ ابن الايهم الإزرار الجريح ـــ كلمة عابرة ص ٩-١٠ .

طولاً وعرضا
قد حملناه رسالهْ
وسللناهُ عدالهْ
فذور التاجِ، وأبناءُ السبيلْ
تحت هذي الدوحةِ السمحاءِ
أكفاءٌ، سواءٌ في المقيلْ

* * *

يا بن أبهمْ!
جاءني هذا الصباحْ
مشهدٌ يبعثُ في النفس المرارهْ
بدويٌّ من فَزارة[1]
بدماءٍ تتظلَّمْ
بجراحْ
تتكلَّمْ
مُقلةٌ غارتْ، وأنفٌ قد تهشَّمْ
وسألناهُ،
فألقى فادِحَ الوِزرِ عليكْ
بيديكْ،

(١) قبيلة عربية.

قال، قد أشبعتَهُ ضرباً وقصفا
بيديكْ،
في فناء البيتِ قد هشمتَه وجهاً وأنفا
أصحيحْ؟..
يا بن أيهمْ!
أصحيحْ؟..
ما ادّعى هذا الفزاريُّ الجريحْ!

* * *

جَبَلة: «بهدوء»

لستُ من ينكرُ أو يكتمُ شيّا
أنا أدّبتُ الفتى، أدركتُ حقّي بيديا.

عمر: أيُّ حقٍّ، يا بن أيهم؟..

عند غيري يُقهَرُ المستضعفُ العافي ويظلمْ
عند غيري جبهةٌ بالإثمِ، بالباطلِ، تُلْطَمْ
نزواتُ الجاهليةْ
ورياحُ العنجهيةْ
قد دفنّاها، أقمنا فوقها صرحاً جديدا
وتساوى الناسُ:
أحراراً لدينا وعبيدا
يأخذ الحقَّ القضاءُ

وهو - لا أنتَ - الذي يُنْفِذُ عندي ما يشاء»[1]

قرأ سليمان التاريخ..

قرأ وائل التاريخ وأعاد صياغته..

«وما أدّعي أني أحسنتُ عنه التعبير..

لقد كان هذا رائدي

وصادقاً حاولتُ»[2]

نعم.. فتح شاعرنا «الأغاني» عَرَضاً «كمن يخطر على باله أن يعبث بشيء بعد عمل مجهد» وإذا بالعروبة تتعملق أمامه في حادثة صغيرة قد يقرأها الانسان العادي فلا يجد فيها ما وجد سليمان العيسى.

«هناك جانب آخر، لعلّه أضخم وأهمّ بكثير..

الموجةُ الجديدة.. الفتح العربيُّ الذي حمل الرسالة ناراً ونوراً.. الى العالم..

وذلكَ في مثل اللمح أقوى مملكتين في ذلك الزمن..

وراح يقيمُ على أنقاضهما موضوعٌ ضخمٌ.. تهيبتُهُ كثيراً..

وأيُّ قلمٍ صادقٍ يمسُّ مثل هذا الموضوع دون أن يهاب؟..

لقد كتب عنه الكثير..

فناً وأدباً -ولا أقصد التاريخ- ولكني ما أذكر أني ارتحتُ لقراءة شيء مما كتب كل الارتياح..

---

(١) سليمان العيسى ابن الأيهم الإزار الجريح ــ لمحة ١٠ ص ١٣٨-١٤١ .

(٢) نفسه ص ١١ .

هناك أقلامٌ قوية..

وثقافةٌ تاريخية واسعة.. وجهدٌ محمودٌ.. لا أنكر ذلك، ولا ينكره أحد. ولكني كنت أبداً أحس أن القلم الذي لم يفتح أمامه أكثر من نافذة يرى منه النور الذي يريد..»[1]

ماذا قرأ سليمان العيسى؟..

وكيف قرأ سليمان العيسى هذه الحادثة الصغيرة الكبيرة؟..

لا يقرأ التاريخ من لا يعرف الغوص..

«لقد كان عمر بن الخطاب يبني عالماً جديداً حين قال لجَبَلة:

«إن الاسلام قد جمعك وإياه..»

وإني لأرى فيها كلمةً من تلك الكلمات الفاصلة التي تختم مرحلةً، وتبدأ مرحلةً من التاريخ»[2]

«إن الاسلام قد جمعك وإياه»

هكذا قال عمر.. وهكذا فصل عمر بين مرحلة ومرحلة. أصرَّ الخليفة على تطبيقه مبادىء الاسلام دون النظر الى المكانة الاجتماعية.. الناس سواسية.. الناس أنداد «في ظل الرسالة»

لم يدارِ عمر مرتبة جَبَلة..

أراد أن يأخذ حق الفزاري الضعيف. عنّف الملك الجاهلي التصرف:

---

(١) نفسه ص ١١-١٢ .

(٢) نفسه ص ١٢

«عمر: نزواتُ الجاهليهْ

ورياح العنجهيهْ

دعك من هذا، وجنبني اللجاجْ

والجهالَهْ!

أنتما ندّان.. في ظلّ الرسالَهْ»[1]

ان الرسالة واضحةٌ إذن.. وعمر يتمسّك بالرسالة.. ويغضب الملك ويهدد بالارتداد.. وماذا عن المرتد؟..

«عمر: عنق المرتدِّ بالسيف تحزُّ

عالمٌ نبنيهْ

كلُّ صدعٍ فيهْ

بشبا السيفِ يداوَى

وأعزُّ الناسِ

بالصعلوكِ،

بالعبدِ تساوى»[2]

* * *

إذن من اعتنق الاسلام لا يجوز له أن يعود عنه وإلا قُتلَ ولو كان ملكاً..

---

(١) نفسه ص ١٤٥

(٢) نفسه ص ١٤٧

العودة عن الاسلام صدعٌ يجب أن يداوى
والدواء في حدّ السيف..
منطق القوة؟..
الرسالةُ واضحةٌ.. هي كالحق.. كالشمس.. كالنهار وضيئة..
هي أخلاقٌ تُمارس وليست مجرد اعتناق خارجي مبتذل فارغ..
الدين هو الدين،
يطبق كله.. أو لا يطبق..

وها هو عمر، بعد أن بيّن لصاحبه الملك كيف يقوّم الارتداد ـ الصدع، يشرح له الرسالة كما يفهمها هو:

«عُدْ الى الحقّ وضيئاً كالنهارِ
ما حملنا الدينَ زينهْ
ولباساً في المدينهْ
حيثما شئنا. خلعنا ورجعنا..»[1]

أجل.. ليس الدين ثوباً نزين فيه أنفسنا.. ليس الدين لباساً نلبسه ونخلعه متى شئنا.. إنه التزام.. التزام بمبادىء وايديولوجية معينة تطبق بحذافيرها.. ليس للملك درجة أعلى من الفقير المسكين.. هكذا جاءت الرسالة.. كلنا بشرٌ.. كلنا سواسية.. كلنا نحمل روحاً.. كلنا نحمل جسداً

(١) نفسه ص ١٤٨ .

«نجازي المعتدي ضراً بضرٍ»

هكذا قال عمر للملك الغاضب الذي أراد الارتداد عن الدين.

«بشرٌ مثلك من عفّرتَهُ
روحاً، وهامهْ
تحت أقدام انزعاجكْ
تحت مجنون هياجِكْ
لا تمارِ!
عد الى الحقد مضيئاً كالنهار..»[1]

فتحَ سليمان الأغاني عَرَضاً..

كمن يخطر على باله أن يعبث بشيء..

بعد عملٍ مجهد..

وتعملقت العروبة.. اختلطت بالرسالة.. صارت هي.. صارتا قضية واحدة.

«الفتح العربي حمل الرسالة ناراً ونوراً الى العالم.. ودكَّ في مثل اللمح أقوى مملكتين في ذلك الزمن.. وراح يقيم على أنقاضهما مفاهيم جديدة، يضع الركائز والاسس لحضارة جديدة»..

فتح سليمان الأغاني عرَضاً..

كمن يخطر على باله أن يعبث بشيء..

---

(١) نفسه ص ١٤٩ .

بعد عمل مجهد..

وقرأ.. وكتب..

استقرأ واستنتج.. بحث في فنه عن الجوهر.. شرح القضية — الرسالة فناً هو بين المسرح والشعر.. لا يهم.

«أتراني أجرؤ.. فأقول المسرحية؟..

إن أشباح العمالقة من «شكسبير» الى «إبسن» الى «بريخت» لتنتصب أمامي في هذه اللحظة..

وما إخالها الا تبتسم مشجّعةً»[1]

نعم.. فتح سليمان «الأغاني» عرَضاً

كمن يخطر على باله أن يعبث بشيء

بعد عمل مجهد..

ففتح للريح نوافذ أعادته الى جَبَلة وعمر.. عاشهما قضية.. تخلّص من مرضه اللذيذ الذي اجتاحه منهما عندما سكناه.

كتبهما قضية واستسلم لفترة ما بعد العاصفة الهوجاء..

لقد تطهّر سليمان بعد أن فتح «الأغاني» نوافذ لم تبقِ ولم تذر فكرةً إلا واسكنتها فيه، في رئتيه..

«أما الكاتب العربي الذي يعرض رئتيه للهواء الطلق..للنور من أية نوافذ جاء..

الكاتب الذي يأذن للرياح أن تهبّ عليه من كل جانب — على

---

(١) نفسه ص ١٣-١٤ .

حد تعبير غاندي ــ غير خائف أن تقتلعه من مكانه، أو تزحزحه عن موضعه.. فهذا الذي أبحث عنه.. وأتمنى من صميم قلبي أن أتتلمذ على يديه.

ما أجمل أن يبحثَ الفنُّ عن الجوهرِ
جوهر الانسان الذي يبقى!
ولم يكن الانسان يوماً مثلاً أعلى كلّه.. أو نقيصةً كلّهُ..

إن الإنسانية لَتتجلى في نقاط الضعف أحياناً اكثر مما تتجلى في نقاط القوة..

وربما وجدنا في الضعف البشري درساً وعبرة يتركان في نفوسنا إحساساً أعمق وتأثيراً أبعدَ مدى..[1]

فتح سليمان «الأغاني» عَرَضاً
كمن يخطر على باله أن يعبث بشيء..
بعد عمل مجهد..

وما عرفَ سليمان أنه بذلك يفتح النوافذ كلها للريح تأخذه الى أرضٍ بعيدة بدأت فيها الرسالة العربيةواضحة الحق، كالشمس.. هذه القضية التي أحبها ورضعها مع حليب أمه..

العروبة..

نـــحـــن الـــشـــبـــاب   لـــنـــا الـــغـــدُ
ومـــجـــده   الـــمـــخـــلّـــدُ

---

(١) نفسه ص ١٢ .

نحن الشباب

لنا العراق والشآم ومصر والبيتُ الحرام
نمشي على الموت الزؤام إلى الأمام إلى الأمام

وفكر الشاعر عندما سمع هذا النشيد تتلوه الحناجر بحماس:

«نحن إذاً لسنا قرية..

ولا مدينة فحسب.. نحن العراق والشام ومصر والبيت الحرام.. نحن كل هذا إذاً..»[1]

العراق والشام ومصر والبيت الحرام كلها بلدٌ واحدة لكنها تنتظر ميلاداً من ضياع..

«الأرض العربية يا انطاكية ما تزال كلها مثلك ضائعة.

تتمخض.. وتنتظر ميلادها العظيم.. أجل تتمخض.. وتنتظر بالرغم من جميع الكوارث».[2]

العروبة قضية تكتب نثراً.. تكتب شعراً المهم أن تكتب..

شاعرنا لا يجعل الشعر قضيته بل العروبة قضيته..

ليس الشعر همه.. بل العروبة هي الهم..

«الذي أريد أن أقوله للناس.. للإخوة.. للريح.. لكل من أعرف، ومن لا أعرف..

---

(١) باقة نثر ص ٣٠ .

(٢) باقة نثر ص ١٠١ .

إنني لست شاعراً..

تلك هي الحقيقة التي تكشف أعماق أعماقي بالرغم من الدواوين التي صدرت لي والتي ستصدر أبداً.

الشعر ليس همي..

ليس الشعر قضيتي..

أنا انسان عربي رأى نفسه يُقتلع من داره..

تحت شجرة التوت في قريته..

يُحرم لغته وتراثه وأرضَه وقريته فجأة.. ويُلقى في الغربة مشرداً أكثر من أربعين عاماً..

ونظرتُ حولي..

وأنا طفل صغير..

كيف أدافع عن نفسي؟..

وماذا أستطيع أن أفعل ويفعل أمثالي؟..

ووجدتُ الطريق.

حلم ضخم سأحمله ورفاقي.. سنقاتل في سبيله حتى النفس الأخير..

الحلم الذي عشتُ من أجله وما زلت أعيش هو أن تكون لي دولة عربية كبرى قادرة على أن تحمي أطفالي فلا يقتلعهم من يشاء ساعة يشاء من بيوتهم في ظل شجرة التوت التي يلعبون تحتها..

ويكتبون أولى قصائدهم تحتها
ويُلقى بهم الى مصير أسود يتلقفهم في الطريق»[1]
التزم شاعرنا العروبة.. دون أن يؤكد على المصطلح هذا.
التزم شاعرنا العروبة دون أن يقول أنا ملتزم.
«لا أحب كلمة ملتزم ولا كلمة التزام
لأنني أرى التعبير مصطنعاً مهما أُجيدت صياغته
قلتُ أكثر من مرة:
إن الانسان لا يلتزم لون عينيه، ولا تنفسه الطبيعي، ولا جلده الذي يعيش به.
هذه الأشياء هي طبيعته، هي وجوده فلماذا نصرّ على أن نفتعل لها التسميات؟..»[2]
لكن شاعرنا التزم وظلّ ملتزماً سواء رضي بالمصطلح أم لم يرضَ..
التزم شاعرنا القضية ـــ الحلم..
«أشدُّ عليك.. والخمسون تركض في دمي رَهَقا
أشدُّ عليك.. جمراً يُنبتُ الواحاتِ محترقا
أشدُّ عليك.. قافيةً وموسيقى
ورمزاً يأكل العتماتْ..

---

(١) باقة نثر ص ١٦٣-١٦٤ .

(٢) باقة نثر ص ٢٤٠ .

يَصلُبُ نفسَهُ في الشمسِ.. عين الشمسِ.. تحديقا

أشدُّ عليك يا همّي العظيمُ، ويا ارتعاش يدي إذا صافحتُ، يا شفتي إذا حدثتُ، يا جسدي

أشدُّ عليك يا وطني الكبير.. أعيرك الحَدَقا

لتركض في عيوني، في دمي، في نبرتي رَهَقا» [1]

أجل..

لقد «جعل سليمان العيسى من الوحدة القومية العربية همه العظيم الذي يرافقه في حله وترحاله، ويأكل معه ويشرب ويتجلى في كل خلجة من خلجات فؤاده، في ارتعاش يده عندما تصافح، وحركة الشفاه عندما تتحدث، وفي كل خلية من خلايا جسده.

هذا الوطن الكبير هو أعزّ ما عند الشاعر

يضحّي له بأثمن ما لديه ليراه أمامه، يركض في عينيه و«في دمه وفي نبرته رهقاً»[2] الحلم العربي رمز..

رمزٌ للألم والقسوة وللقوة معاً

رمزٌ للتمرد على الطغيان القاسي.. الحلم العربي «حلم أشدّ حقيقة» من وجود الشاعر.. حلم حقيقي.. لا.. بل أكثر من حقيقي..

---

(١) سليمان العيسى ــ أغان بريشة البرق ــ قصيدة أقاتل باسمك العريان.

(٢) د. أحمد أبو حاقة ــ الالتزام في الشعر العربي ــ دار العلم للملايين ط ١ ــ ١٩٧٩ ص ٤٨٣ .

حلمٌ تجسد في انتصار تشرين.. أعاد بعض أمل الى نفس الشاعر.. الحلم قد يتحقق.. الوحدة.. التحدي..هل صار الحلم حقيقة؟..

«أشدُّ عليك في تشرين تُمحى دونك الأبعادْ
وتُخْتَرَقُ الصحارى والحدود، ويلتقي أهلي بلا ميعادْ
وتسقط كلّ أقنعتي
واكتب بالدمِ العربيِّ في الجولان أغنيتي
وأعبر، أعبر الماء الذي حزّوا به رئتي
وقالوا: أنتَ أشطارٌ
وقالوا: مصرُ لا عربٌ، ولا قربى، ولا دارُ
ومصرُ كتونسٍ، كظفار، كالقرآنِ من جسدي أتختارُ؟..
أضوءُ الشمس، نبض العِرقِ، لون العينِ، يُختارُ؟
تحَدَّي يا صلاتي الليلَ، والتابوتَ، والغرقا،
وشدني على الصحراءِ سيفاً يمحقُ العتماتِ محترقا»[1]

فتح سليمان النوافذ كلها للرياح والتزم دون أن يريد لالتزامه اصطلاحاً..

ان التزام سليمان العيسى «هو التزام نابع من الايديولوجية البعثية القائمة على مفاهيم الانبعاث القومي العربي والوحدة العربية الشاملة،

(١) سليمان العيسى ــ أغان بريشة البرق ــ قصيدة اقاتل باسمك العريان.

وامتداد الحضارة العربية في الفكر والدين واللغة والتاريخ والقيم الانسانية.

ومبادىء الاشتراكية العربية النابعة من صميم حياة العرب وإمكاناتهم ورسالتهم الانسانية، وتغلب العرب على محنتهم الكبرى التي نكبتهم بها الصهيونية ومؤيدوها من قوى الاستعمار، وتحرير الأرض العربية من كل ما هو غير عربي، وكل ما يحمل في ثناياه خطراً على العرب وحضارتهم ووجودهم ومكانتهم بين الأمم.

ويتسم التزام العيسى بالثبات وازدياد التعمق مع الأيام وتوظيف الشعر في سبيل القضية التي آمن بها، وقضى عمره في العمل من أجلها»[1]

توظيف الشعر في سبيل القضية؟..

أجل

نردد مع شاعرنا الكبير..

«الشعر ليس همّي

ليس الشعر قضيتي..

إنني لست شاعراً

تلك هي الحقيقة التي تكشف أعماق أعماقي»

ليس الشعر قضيته.. القضية هي الجماهير العربية منذ القصيدة الأولى وحتى الآن.

---

(١) د. احمد ابو حاقة، الالتزام في الشعر العربي ــ دار العلم للملايين ص٤٩٠ .

وحين وزع المقاتلون الفلسطينيون في أصقاع الوطن العربي وأصقاع العالم بعد مجزرة بيروت نرى شاعرنا يتقد حماسة وقد اقتبس عنوان القصيدة «الفلسطيني الطائر» من أسطورة «الهولندي الطائر» المعروفة..

«في الغرب يزرعونك
في الشرق يزرعونك
في العتماتِ السود، في الضبابْ
في رجفةِ الحراب
تودُّ لو تمحوكَ من ذاكرة التراب
ومن رؤاهُم..
حين تنطبق الأهداب
عليك كابوساً، وحلماً أدمن العذاب
لكنك الباقي على الزمن
حكاية الوطنْ
يا رائع الشقاءِ والمِحَن
يا سيد الشقاءِ والمِحَن
حكاية الشعب الذي يقاسم الإله
بقاءَه ويبدع الحياةْ
من دمه المجفَّفِ،
المذرورِ في ضميرنا،

وفي ضمير قاتليهِ
يدعُ الحياة..»[1]

حكاية الوطن كابوس وحلم أدمن العذاب..
حكاية الوطن حكاية «رائعة الشقاء والمحن»
حكاية الوطن سيدة «الشقاء والمحن»
حكاية الوطن تصارع.. تبقى.. تحيا رغم الموت المزروع والمقصود..
حكاية الوطن دمٌ جفَّ وذُرٌ في الضمائر.
حكاية الوطن دمٌ جفَّ ليطهر، ويؤرّق، ويزلزل.
حكاية الوطن جذور تهاجر.. تهاجر..
وشاعرنا يعرف بالضبط ماذا تعني الهجرة.
وماذا يعني الاقتلاع،
وماذا يعني أن ننبش في الذكريات الأليمة..
يعرف شاعرنا تماماً ماذا تعني الهجرة:
«يا أيها المذرور في ضميرنا..
وفي ضمير الأرضِ
يا لهبْ..
يطهر العرب
يؤرق العرب

---

(١) قصيدة الفلسطيني الطائر وقد كتبت عام ١٩٨٢ .

يا سورةَ الزلازل في جنازة العرب
في الشرق يزرعونك
في الغرب يزرعونك
وراء صمتِ الصمتِ والنسيانِ يزرعونك

• • •

يا هجرةَ الجذور في التراب
يا قصة العذاب
تناثري في لحمنا، في دمنا الفسيح
في عتماتِ الوطن، الزنزانة، الجريح
عساهم إن أُطبقوا الأجفان
في مصنعِ القتل الذي يدعونه الزمان
يستشعروا الأمان
عسى يدُ القاتل تستريح
من قصة الميتِ الذي يقاسم الإله
بقاءه، ويبدع الحياه
من دمه المذرور في كل الجهات..
يبدع الحياه»[1]

فتح شاعرنا الأغاني عَرَضاً

(١) قصيدة الفلسطيني الطائر ـــ سليمان العيسى.

كمن يخطر على باله أن يعبث بشيء
بعد عمل مجهد
فالتقى عمر بن الخطاب والتقى جَبَلة ورافقهما أو، رافقاه..
وفتح الشر والحقد والاستعمار على الوطن ــ القضية سمومه
فأعادها شاعرنا إلى مصدرها بعنف
ورفض للقضية أن تموت..
إنه ليس شاعراً
والشعر ليس همه
ليس الشعر قضيته
إنه حالمٌ كبير..
والحلمُ دولة عربية كبرى تستطيع أن تحمي أطفاله..
يخشى سليمان الاقتلاع..
لا يكتب الشعر للشعر
بل يكتب القضية التي تؤرقه شعراً
«ماأجمل أن يبحث الفنان عن الجوهر»
هذا ديدن شاعرنا..
أجل.. من العروبة ينبع شعره..
وفي العروبة يصب:
«أنــا فــي أعـمــاق قــومــي صــرخــة
تــتــشــظــى لا قــصــيــدٌ يُــقــرأُ

حسب لحن ينتهي في وتري
أنه في صدر غير يبدأ

«الشعر القومي الذي يلقي بظلاله وألوانه على كل ما في الوجود من حولي

على كل ما يمر بي في الحياة.. الحزن، الفرح، الحب، الطبيعة، المرأة، الوطن، الاطفال، الناس، الثورة، الاشتراكية، الاصدقاء، الخصوم، الى آخر ما يعرض للشاعر في هذا الشريط الذي نسميه العمر..

هذا الشعر القومي هو السمة الأولى لنتاجي، هو الطابع المميز لكل ما قلت وما سأقول

هو النهر الذي تتفرع منه كل السواقي، لتصب فيه:

«وتسألني..
وظلّ الصمتِ يرهقني
يشدُّ عليّ يسحقني
وألفُ يدٍ تمزقني
لماذا لا يرف الورد في بستانك الشاعر؟..
لماذا لا يضيء دربك مبسمٌ ساحر؟..
أما من واحة خضراء تغوي المرهق المجهد؟..
أما من خمرة غير التي في الكأس، إن أُنشد؟..

* * *

بلى.. يا طفلتي الحلوة
لكلِّ سلافةٍ نشوة
وأجمل من مآسينا
حياتك بسمة ريّا
وأحلى من أعاصيري
شعاع نصف مخمور
يصب بكأسي السحرا
ويجري في دمي شعرا
ولكني تؤرقني
طيوفٌ ما تفارقني
تشدّ علي.. تسحقني
ملايين من المقل
من الايدي.. تلوّح لي:
عطاش نحن.. لا قطرة
وغرقى نحن.. لا نظرة
وجودك قطعةٌ منّا
أشِح عنا..
إن استطعت النوى، خُنّا
وجرّب بعدنا الفنّا
وأرمي في الدجى بصري

مدى النظر
وأغمس في اللظى شعري
ويملي الجرح في صدري

في مثل هذه المقطوعة الشعرية، وغيرها من المقاطع، عبرت عن ذلك بوضوح.. وما أخالني أضيف شيئاً الى هذا التعبير الشعري حين أحاول الكتابة عنه..

لا أستطيع أن أفهم الحرية على أنها مسألة فردية، تتعلق بوجودي وحدي.. سأكون واهماً الى حدّ السذاجة إذا تصورت أن خلية بمفردها تستطيع أن تكون حرة في جسد مريض».[1]

فتح سليمان كتابَ التاريخ عَرَضاً،
بل فتح سليمان عينيه
فوجد العروبة تتألم
أنشدها لحناً لا يُنسى
صارت في أعماق الذكرى
نشيداً ألحانُهُ تُحفظ!

---

(١) في قضايا الشعر العربي المعاصر ــ ص ٢٧١-٢٧٣ .

الشعر بمفهوم سليمان العيسى

«في المجموعة الكَاملة التي حملت عنوان «شعر سليمان العيسى» والتي صدرت منذ أمد قريب عن دار الشورى في بيروت..

يجد القارىء مقدمة مكثفة أوجزتُ فيها ـــ أو حاولت أن أوجز ـــ ملامح هذه التجربة تحت عنوان «قطرات ضوء على الطريق»..

وأعود إلى هذه المقدمة المكثفة..

إلى هذه القطرات الآن لأجدها تومىء ايماء، وتكتفي بالإشارة.

وتبقى نقاط وزوايا عديدة تحتاج إلى الإضاءة. ولكنني مع ذلك سأقتطف منها جراح الأمة وجراح القصيدة التي عانيتها منذ فتحت عينيّ على الحياة..

تقول المقدمة:

- الشعر نبض الحياة العميق.. قمة كفاح الانسانية.

- حين قدر للكلمة أن تحمل جناحين، أخذ الإنسان يحقق معناه بدأ تاريخه الجميل.

- إني لا أستطيع أن أتصور إنسانية بلا شعر. ولكنني مع هذا لست شاعراً.

- أنا خلية في جسد.. تبحث عن ملايين الخلايا من أخواتها وتكافح بلا هوادة، لكي يتحرك الجسد، وتتفتح الحياة.

- وجسدي هو امتي.. هذه الأمة العربية العظيمة، المنكوبة، الممزقة التي مدت جسور الحضارة بيني وبين العالم منذ وجد العالم، وكانت الحضارات.

- من هنا.. تبدأ قصة الشعر في حياتي.. وهنا ستنتهي. والشريط الذي سيعرضه ديوان سليمان العيسى على القارىء ليس إلا حلماً رائعاً يقاتل ليتحقق.

- كل منجزات التاريخ العظيمة كانت في يوم من الأيام أحلاماً عظيمة. ومن هذه القناعة انطلقت، وما زلت مصرّاً على قناعتي وأحلامي الصلبة.

- الحلم هو الصحة. والواقع الذي من حولي هو المرض، والمرض طارىء مهما طال ومهما استشرى. والصحة هي الهدف. والكفاح من أجل هذا الهدف هو شرط وجودنا ولا بد للشعر أن يمتلك هذا الشرط ليكون شعراً في رأيي.

- أنا جزء من أمتي. ونحن جزء من الإنسانية ــ ولا سيما المقهورة المعذبة منها ــ تريدني أن أكون صادقاً معها، تريدني أن أتنفس برئتي، وأحسّ بأعصابي وأدافع عن وجودي المهدد.. عن انسانيتي.. وعندئذٍ.. سألتقي الإنسانية كلها، وأحيا فيها، وتحيا فيّ.

- كانت الجماهير العربية ــ وما تزال ــ قصيدتي الأولى أعطتني أكثر مما أعطيتها. كانت جماهير من الكبار أضيفت اليها مؤخراً جماهير الأطفال.. كما تعرفون.

- العروبة التي غنيتها ــ وما زلت ــ نسيج حضاري هائل تشابكت فيه ملايين الأصول والفروع لتعطي الإنسان اكثر مما أعطاه شعب على وجه الأرض:

وأبعد نحن من عبس ومن مضر.. نعم أبعدْ
حموراب، وهاني بعل بعض عطائنا الأخلدْ
ومن زيتوننا عيسى ومن صحرائنا أحمدْ
ومنّا الناس ــ يعرفها الجميع ــ تعلموا أبجدْ
وكنا دائماً نعطي وكنّا دائماً نُجحَدْ

- قديماً قال أجدادنا: الشعر ديوان العرب. أما أنا فلن أتجاوز الحقيقة إذا قلت: الشعر كهرباء العرب. من تجربتي الشخصية بين المحيط والخليج، وصنعاء واسكندرونة أحذت العبارة، قل: عشتها رعشة رعشة.

- التجربة هي الينبوع الذي يسقي الإبداع. كيف تخضرّ شجرة بلا ماء؟..

- مهمة الكلمة أن تتحول إلى طاقة، إلى فعل. ان الكلمة ليست مجرد شكل لفظي يتألف من حروف وايقاعات صوتية انها جزء لا يتجزأ من وجودنا، من حقيقتنا، من سلوكنا اليومي.

وإذا لم تحمل رصيداً من هذه الحقيقة، ظلت شيئاً يدور في الفراغ ولا يترك أي أثر.

بإيجاز: الكلمة هي الانسان»[1]

سليمان العيسى إذن ليس شاعراً رغم دواوينه. وليس ملتزماً رغم صوت القضية العالي..

هو حامل القضية... هكذا يريد لنفسه أن يكون... وهذا هو الشرف الأكبر...

الشعر نشيد.. الشعر موسيقا...

«أنا من المؤمنين بأصالة موسيقانا العربية..

وإذا ما تجلت في شيء، فإنما تتجلى في الشعر... الشعر العربي..

صانع «السمفونيات» الرائعة من أول معلقة إلى أحدث قصيدةٍ غناها شاعر أصيل.

لقد قام الشعر العربي «يُنْشَد»..

والإنشاد غناء..

أما نحن..

فقد اخترعنا الإلقاء»

والإلقاء ــ مهما أجاد ــ كلام، ونبرات.

لا تقرأ الشعر...

بل أنشده..

غنّه ــ إذا استطعت ــ

تضع يدك على كلمة السر فيه.

---

(١) في قضايا الشعر العربي المعاصر ــ دراسات وشهادات ــ تونس ١٩٨٨ .

والغناء همسٌ داخليٌ ترتاح له النفس، ويهتز الشعور.

موسيقا صامتة، تنساب في الأعصاب...

قبل أن يكون أصواتاً، وأنغاماً تُسمع.

موسيقا الشعر إذاً شيء مقدس.

شيء من صميم اللغة من صميم التراث...

ولكنْ أيظلُّ شعرنا على عموده القديم؟..

أليسَ في موسيقانا، في لغتنا، متسع لألوانٍ من النغم خديدة؟..

هنا آتي إلى موضوع «التفعيلة» التي اتخذها معظم شعرائنا الشباب أساساً للوزن..

بدلاً من البيت القديم الراسخ بشطريه المعروفَين... والتي استعنتُ بها — وسوف أستعين — في كل محاولة.

اتخاذ «التفعيلة» أساساً لوزن الشعر ليس حرية، ولا انفلاتاً، كما يتوهم الكثيرون.

جرّب أن تعزف نغمةً على آلة واحدة.. على عودٍ مثلاً..

ثم جرب أن تعزف النغمة نفسها على خمس آلات أو عشر...

ما أشك أنك ستلاقي من المشقة في الثانية أضعاف ما تلاقيه في الأولى أحياناً.. لا لشيء،

إلا لأن توزيع النغمة نفسها على «جوقةٍ كاملة يكلفك جهداً، وعرقاً يعرفه موزعو الألحان ويأرقون من ورائه الليالي الطوال...

إنني أرثي لمن يسمّون النظم على أساس التفعيلة «شعراً حراً» ولكنني أشد رثاء لمن يجربونه وهم يظنون أنهم قد تحرروا من القيود..

إذا كان في أوزاننا القديمة قيد محبب...

ففي التجربة الجديدة ألف قيد...

كلها محببة.

ولنحذر الميوعة.. والتزييف..

بإيجاز أقول:

كنتُ أختار موسيقا العمود حيث أراها أصلح، وأغنى. ثم أعدل عنها إلى موسيقا التفعيلة في جو آخر.. وكان مثَلي الأعلى في ذلك كله هذا السحر الحلال.. هذه الموسيقا الخالدة التي تهدر بألف لونٍ ولون في القرآن الكريم:

اقرأ معي هذه الآيات الكريمة على سبيل المثال[1]

«فإذا انشقت السماءُ فكانت وردةً كالدهان.

فبأيِّ آلاءِ ربكما تكذِّبان.

فيومئذٍ لا يُسألُ عن ذنبِهِ إنسٌ ولا جانٌّ.

فبأيِّ آلاء ربكما تكذِّبان.

يُعرفُ المجرمون بسيماهُمْ، فيؤخذ بالنواصي والأقدام.

فبأيِّ آلاءِ ربكما تكذِّبان.

ولمن خاف مقام ربِّه جنتان.

---

(١) سورة الرحمن.

فبأيِّ آلاءِ ربكما تكذِّبان

ذواتا أفنان.

فبأيِّ آلاء ربكما تكذِّبان

فيها عينان تجريان.

فبأيِّ آلاء ربكما تكذِّبان

فيها من كل فاكهةٍ زوجانْ.

أليس في هذه الموسيقا الخالدة ينبوع الشعر الجديدة. ما أجدرنا أن نتتلمذ على بيان السماء!

أحب ألا أدع الحديث عن موسيقا «التفعيلة» قبل أن أشير إلى نقطة صغيرة، ولكنها، على صغرها، تهمني كثيراً..

تعودت الأذن العربية على الأجيال ان تسمع نغمة البيت المحدد.

ستتعود هنا أن تسمع نفحة «الجملة» أو «المقطع» الكامل، يقوم في كثير من الأجيال مقام البيت الواحد في الشكل وفي المضمون على السواء.

هل تأذن لي بمثال؟..

إليك هذا «المقطع» على لسان جَبَلة يخاطب فارسه الغساني، قبل أن يوجهه برسالته إلى عمر:

قد آن أن تلتقي اللحمة والسُّدى

يا عمرو، إنا ـــ مثلما تعرف ـــ كنا أبدا

دنا الحمى أو بَعُدا

في الدهر كنا أبدا
أرومةً واحده.
روحاً ويدا..
إنه — كما ترى — من بحر الرجز، هذا البحر المرن المعروف..
ولكنك تظلمه كثيراً إذا قسمته خلال القراءة إلى أشطرٍ وأبيات..
إنه «جملة موسيقية»
إنه «مقطع واحد»..
ومرة أخرى..
أراني ألجأ إلى القرآن الكريم ألتمس منه المثل. اقرأ معي هذا الوعيدَ المزمجر:
سأصليه سقر
وما أدراك ما سقر
لا تبقي ولا تذر.
لوّاحة للبشر.
عليها تسعة عشر.
ألا نحسّ في هذه الآياتِ الخمسِ القصار دفقة واحدة متصلة في النغم؟..
«جملةً موسيقيةً» رائعةً..
إن صح التعبير؟..

• • •

وربما سأل سائل:

لمَ تعبثون بالبيت الواحدِ، فتكتبونه موزعاً على فِقرات.. في بضعة أسطر؟..

أما أنا فأعيذُ لغتنا وتراثنا من العبث..

يخيّل إليّ أن توزيع البيتِ على سطور لا يصحّ إلا في حالاتٍ معينة.

حين يريد الشاعر أن يشحن العبارة، أو يزودها بانفعال خاص

هذا التوزيع إذاً، وقفات نفسية..

طاقةٌ يراد لها أن تتركز في فقرة، في عبارة من البيت.

ولنأخذ على عجل هذا البيت مثلاً، بقوله عمروٌ الفارس الغساني لحبيبته، معبراً عن ألمه وسخطه لوقوفه مع أبيها إلى جانب قيصر، ضد أبناء قومه الفاتحين:

أحمي بقية قيصرِ

بعبيده

لابي، ولا بأبيكِ

قيصرُ يحتمي.

إن كلمة «بعبيدة» بداية انفجار..

تتلوها عبارة «لابي، ولا بأبيكِ» حاملة العنف نفسه، والثورة نفسها على موقف سابق عانى منه الفارس ما عانى..

وربما ضاعت كل هذه الانفعالات التي يريدها الشاعر إذا ما كُتِبَ البيتُ سطراً واحداً بلا وقفة ولا فاصل.

تلك نقطة تظل ثانوية على كل حال..

ولك أن تقرأ الشعرَ وتكتبه كما يحلو لك.

* * *

هناك القافية..

ولا بد من همسة حولها ولو طال الحديث..

إنها الشاطىء الذي تنكسر عليه امواج الشعر القديم فإذا هو صخورٌ وعرةٌ مرةً..

ورمال في لين الحرير مرة أخرى..

ويخطىء من يظن أن الشعر الجديد «شعر التفعيلة» يتساهل بالقافية، أو يستهين بنبرتها الحلوة، وايقاعها الجميل..

السهولة عدوة الفن..

هذا رأيي على الأقل.

أعني تلك السهولة التي تفر من الجهد والمعاناة..

لتقف على حافة الركاكة والابتذال

لستُ من علماء التشريح

ولكنني أرى القافية في الشعر الجديد أشبه بذلك الإيعاز اللماح الذي يصدر إلى الأعصاب إلى الجسم كله، فإذا هو يرتعش ويستجيب.

وما أخطرَ أن يختل هذا الايعاز على الجسم كله!
على الحياة..
يقال: إن أقل نتائجه الفوضى والشللْ
إنني حريص على القافية،
على هذا الشاطىء الجميل،
أياً كان لون الشعر الذي أحاوله.[1]

---

(١) جبلة بن الايهم ـــ ص ١٥-٢٢

شكل القصيدة

«ولعل الشكل الذي انتهيت إليه في قصائدي الاخيرة:

«إلى ابي الطيب المتنبي» في مهرجان المتنبي ببغداد و «دمك الطريق» في ذكرى عمر المختار بمدينة بنغازي. و... «أضم ثراك يا خضراء» في مهرجان قرطاج بتونس و «من أين أبدأ» في يوم فلسطين ببيروت لعل هذا الشكل الذي يستغل نفحة البحر الواحد، فيلونها ويتصرف بها. هو أقرب أشكال القصيدة، وأحب إليّ، ذلك لأنه يحاول أن يحقق المعادلة التي نبحث عنها:

الأصالة والجدة..

الانفتاح على الجديد انطلاقاً من الجذور... من الاسس المتينة التي بني عليها شعرنا وذوقنا العربي عبر التاريخ:

خذيني.. ليس من ورق إهابي

دم التاريخ ينبض في ربابي

أغني.. كل أنات السبايا

حروفي.. كل ملحمة العذابِ

أقول قصيدة... حلم جريح

يؤرق مقلة الدنيا كتابي

خذيني.. لست رجع صدى

ولا عددا..
ولم آتِ المدينة كالغريب بدا
ووجهاً ليس يعرف في مضارب أهله أحدا
أنا التاريخ والبلدُ
أنا العددُ
وتبقى الأرض، والأرض التي تلدُ
على ناب الأفاعي والخناجر، لم تزل تلدُ
وتحمل وجهها العربي عتّقتِ المآسي فيه والأحزان والسهدُ
وصارا توأمين، وهاديين، الغيُّ والرشدُ
أناتك.. أعرف الصحراء بيتي
وأعرف أي سر في السيابِ
خذيني ففي صميم القحط زرعي
جذوري في شرايين الترابِ
خذيني... ليس من ورق إهابي[1]

في قضايا الشعر العربي المعاصر ــ دراسات وشهادات ٢٧٧-٢٧٨ .

التراث والمعاصرة أو
القديم والجديد...

«يخيّل إليّ أنني كثّفتُ رأيي في هذا الموضوع الذي طال فيه الجدل، وكثر الحديث بالفقرة التالية في مقدمة مجموعتي الكاملة:

«أن تعتصر المتنبي ولوركا
والمعري.. وغوته
ثم تقف على قدميك..
وترى الدنيا بعينيك
تلك هي الحداثة والمعاصرة..
بكلمة أدق: تلك هي الأصالة فيما أرى»

وأعترف أنني كنت مشدوداً إلى التراث في الفترة الأولى من نتاجي، وكانت ظلال القرآن، والمعلقات، وديوان المتنبي تحيط بي، وتشدّ على يدي، في كل قصيدة أكتبها. ولكني ما لبثت أن انفتحتُ على عوالم جديدة عندما أخذتُ أطالع بشغف الآداب الأجنبية، وشعراء الغرب. بالمناسبة، إنني أحسن الفرنسية والإنكليزية، وأستطيع أن أقرأ عن طريق هاتين اللغتين معظم النتاج الأدبي في العالم.

مبكراً قرأت الشعر الفرنسي وحفظت الكثير منه:

راسين، كورنيه، موليير، فكتور هيغو، لامارتين، وأخيراً بودلير. فرلين، رامبو، إلى آخر القائمة..

وفي مطلع الشباب، كنت أقرأ أيضاً الانكليزي وأتأثر بمدرسته الرومانسية إلى حدّ بعيد:

بيرون، شيلي، كتيس، وردزروث..

ثم اتسعت مطالعاتي فقرأت كبار شعراء الألمان والروس، والأميركان، والإسبان..

وكان غارسيا لوركا أقرب هؤلاء الشعراء إلى نفسي وأحبهم إليّ.

ومررت في تجربتي بالمدارس الشعرية من الكلاسيكية.. إلى الرومانسية، إلى الرمزية، فالواقعية الجديدة..

وكان لكل من هذه المدارس أثرها في كتاباتي.. ولكنني — فيما أرى — لم أتأثر بواحدة من هذه المدارس كما تأثرت بالواقعية الشعرية الجديدة... ولا سيما بعد أن عشت زمناً مع قصائد مايا كوفسكي، وبابلو نيرودا، وناظم حكمت، وكاتب ياسين.

وترجمتُ مع زميلة لي تجيد الانكليزية مجموعة سيلدن رودمان «مائة قصيدة من روائع الشعر الحديث».

ومع هذا!... فقد بقيت تجربتي الشعرية تجربة عربية تضرب بجذورها في أعماق الصحراء.. وتنأى عن أن تتزيا بغير زيها العربي الأصيل.

ليس في نتاجي كله أثر لأسطورة يونانية مثلاً.

ولم يدخل «سيزيف» وأضرابه أية قصيدة من قصائدي.. بالرغم من قراءتي الدائمة، وشغفي بالاطلاع. كنت ألوم صديقي الشاعر المبدع المرحوم بدر شاكر السياب ونحن على مقاعد الدراسة، في دار المعلمين العالية ببغداد، حين كنتُ أجده يركض وراء كل حكاية غريبة عن تاريخنا وأسطورة لم ينسجها ترابنا ويحاول جاهداً تبنيها وأن يتكيء عليها في شعره.

كنت أقرأ ما يقرأ.. وأتذوق ما يتذوق.. ولكني أؤثر أبداً أن أقف على قدميّ، وأرى الدنيا بعينيّ..[1].

(١) في قضايا الشعر العربي المعاصر ــ دراسات وشهادات ص ٢٧٣-٢٧٤ .

الخطابة في الشعر

«وأراني هنا أستعير التعبير الذي يستعمله النقاد بكثرة حين يتحدثون عن الشعر المسموع النبرة الذي يتجه أصلاً إلى الناس ليقول على مسامعهم ما يريد.

إنني لا أستطيع أن أتصور قصيدة تقال دون أن يكون لها سامع أو متلقٍّ تتجه إليه.. وإلا.. فلمن تقال؟.. ولماذا تقال؟..

منذ خيمة «الأدم» التي كانت تضرب للنابغة الذبياني في سوق عكاظ، إلى آخر قصيدة حديثة ألقاها شاعر من شعراء الشباب في مهرجان قرطاج بتونس.

فإن شعرنا العربي يخاطب الناس، يحاول أن يسجل همومهم، ويحمل إليهم أفراحهم وأتراحهم ومطامحهم وأحلامهم... وما يزال...

العلّة ليست في الكلمة الجميلة القادرة التي تتجه إلى السامعين، لتهزهم، وتصل إلى أعماقهم، وإنما العلة، كل العلّة، في الكلمة الرديئة الهزيلة التي لا تستطيع أن تفعل شيئاً مهما علت نبرتها.. والتي ليست من الفن، ولا من الشعر في شيء.

قلتُ هذا غير مرة.. وسأردده دائماً.

كانت قصائد المتنبي، وهو يسجل بطولات سيف الدولة، ومعارك الجيش العربي، خطباً شعرية مجلجلة كالرعد، وما أظن أحداً يجرؤ

على اتهام المتنبي بأنه كان شاعراً رديئاً حين كان ينشر روائعه تلك على مسمع الناس، ومسمع الدهر معاً:

وما أنا إلا سمهري حملته
فزيّن معروضاً، وراع مسددا
وما الدهر إلا من رواة قصائدي
إذا قلتُ شعراً أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمرا
وغنّى به من لا يغني مغرّدا

أما أنا، فقد كانت الجماهير العربية قصيدتي الأولى ـ كما قلت ـ وما تزال وكانت القصيدة التي ألقيتها على الناس، أشبه بكرة النار أرمي بها إليهم، ليردوها إليّ أكثر حرارة، وأشد اشتعالا.

صحيح أن الشاعر قد يضحّي بشيء من «فنيّة» القصيدة عندما يعيش في صميم الجماهير، في صميم الحدث، ولكنه مطالب أبداً بأن يحقق المعادلة الصعبه.. أن يرقى بالناس إلى مستوى الجمال والفن، دون أن يضحّي بأحد طرفي المعادلة وتلك هي المشكلة:

ما أصعب أن يكون الإنسان شاعراً
وما أروع أن يكون[1]

---

(١) نفسه، ص ٢٧٤-٢٧٥ .

مولد القصيدة

«الإلهام»

أومضُ في الأعماقِ لمحَ الشهاب
في شارع في هدأة، في اصطخابْ
أومضُ وخز البرق في رأسه
أتركه.. أمضي وراء السحابْ
يظلنني ضعتُ.. يلمُّ الرؤى
ينسى بدأ دقت بقلب الضبابْ
وينطوي يوم، وعام، فما
للعمر، للتاريخ عندي حسابْ
عمري هو التاريخ.. إشراقتي
هي المدى لا ينتهي، لايجابْ
وبغتة ينفض عن جفنه
شيئاً كما رف جناحا عقابْ
كما هوت فوق الثرى قطرةٌ
من غيمةٍ مجهولة، من سرابْ
وهمٌ... أعادت؟.. إنه صوتها
أعرفه، يهمس خلف الحجابْ

يشتد، بجناح بلا موعد

بلا صدى، ينذرني بالعقابْ

يضيء بالذكرى... يصب السما

في شفتي غمغمة من ربابْ

يا للصراع الحلو.. ما بيننا

أرهقته حتى استجاب..

وهكذا تولد القصيدة في رأس الشاعر..

ثم يبدأ الصراع الحلو المر

مع الفكرة.. مع الصورة.. مع اللفظة.. مع الموسيقا.. مع عشرات العناصر الفنية الدقيقة التي لا يمكن تحديدها حتى تكتمل خلقاً سوياً..

إنني أكتب القصيدة الطويلة من ثمانين إلى مائة من الأبيات.. في يوم واحد.. ثم أنقحها في يومين أو ثلاثة..

وربما كانت عملية التنقيح هذه أهم وأدق ما في كتابة الشعر عندي..[1]

---

(١) في قضايا الشعر العربي المعاصر ـــ دراسات وشهادات ص ٢٧٥-٢٧٦ .

عندما يغنـي سلـيمان العيسى للأطفال

البداية الحقيقية للكتابة للأطفال كانت في أعقاب نكسة ١٩٦٧ . قبل ذلك كتب سليمان الشعر للصغار ولكن ليس بهذا الزخم.

- لماذا كتب سليمان للأطفال؟...

«أنقل اليكم همومي وأحلامي
يا أعزائي الصغار..
وعندما تكبرون قليلاً
سترون أني لم أخدعكم..
لم أضِع وقتكم الغض الثمين بشيء تافه»[١]

- لماذا كتب سليمان للأطفال؟..

«أنا اعتقد أن الشجرة العظيمة بنتُ الغرسة العظيمة. وأن الصغير الذي يحمل في طفولته فكرة كبيرة هو الذي يخلق الوطن الكبير»[٢]

- لماذا كتب سليمان العيسى للأطفال؟..

«شعراؤنا ــ حفظهم الله ــ ما زالوا يخجلون من وضع بسمة الملائكة على شفتي طفل أعني من كتابة نشيد للصغار يخجلون أو يترفعون.. أو يتهيبون..

---

(١) مقدمة غنوا يا أطفال ص ١٧ .

(٢) نفسه ص ١٨ .

لا أدري..
تظل النتيجة واحدة..
ويظل أطفالنا محرومين من بسمات الملائكة على شفاههم..
أعني من الاناشيد الجميلة..
من الشعر الحقيقي
ويظل أدبنا العربي ذو التاريخ العظيم محروماً أحلى ينابيعه أعني: شعر الاطفال..
ورحم الله استاذنا احمد شوقي الذي أحس هذا قبلي وفتح لنا الطريق..
أياً كان الطريق»[1]..
- لماذا كتب سليمان العيسى للاطفال؟...
في مقدمة مجموعتي غنوا يا أطفال قلت:
بالشمس والهواء والماء.. تتفتح أزهار الربيع
وبالموسيقى والحركة، والغناء
ينفتح الاطفال على كل جميل ورائع
دعوا الطفل يغني.. بل غنوا معه أيها الكبار..
إن الكلمة الحلوة الجميلة التي نضعها على شفتيه هي أثمن هدية نقدمها له.
لكي يحب الاطفال لغتهم

(١) مقدمة غنوا يا أطفال ص ١٤ .

لكي يحبوا وطنهم
لكي يحبوا الناس، الزهر، والربيع، والحياة
علموهم الأناشيد الحلوة..
اكتبوا لهم شعراً جميلاً
شعراً حقيقياً..

* * *

يتابع شاعرنا قوله:

وتوالت كتاباتي الشعرية للصغار من سن السادسة إلى سن الخامسة عشرة، وقد تمتد الطفولة في أحدث نظريات التربية وعلم النفس إلى سن الثامنة عشرة موزعة على مراحل عدة بالطبع.

وحاولتُ في العام الماضي أن اجمع ما كتبته عن شعر الاطفال، فإذا هو أربعة أجزاء يربو كل منها على ثلاثمائة صفحة من القطع المتوسط والقطع الكبير..

تصدر كلها تباعاً عن «دار الآداب للصغار» و «دار الشورى» في بيروت مزينة بالألوان والرسوم.

وتنوعت هذه الكتابات الشعرية من النشيد القصير المركز الذي يتناول حياة الطفل في البيت، والمدرسة، والشارع، والطبيعة، الخ..

إلى القصة الشعرية الصغيرة.

إلى المسرحية الشعرية التي تكتب لتلحن وتمثل.

إلى المسلسلات الشعرية التي تتألف من حلقات عدة بلغ بعضها احدى وعشرين حلقه: ملحمة القطار الأخضر.

ولقد حرصتُ ما استطعتُ على أن تتوافر في النشيد الذي اكتبه للصغار العناصر التالية:

١ - اللفظة الرشيقة الموحية، الخفيفة الظل، البعيدة الهدف، التي تلقي وراءها ظلالاً وألواناً، وتترك أثراً عميقاً في النفس..

٢ - الصورة الشعرية الجميلة.. التي تبقى مع الطفل مرة ألتقطها من واقع الأطفال وحياتهم، ومرة استمدها من أحلامهم وأمانيهم البعيدة.

٣ - الفكرة النبيلة الخيّرة التي يحملها الصغير زاداً في طريقه، وكنزاً صغيراً يشع ويضيء.

٤ - الوزن الموسيقي الخفيف الرشيق الذي لا يتجاوز ثلاث كلمات أو أربعاً في كل بيت من أبيات النشيد.

إنني أحرص على:

أن يتشابك في النشيد الذي اكتبه للصغار: الوضوح والغموض، الواقع والحلم، المحسوس والمعقول، الخيال والحقيقة. كل ذلك في كلمات مدروسة بعناية.

ويبقى الغناء الهدف الأول من كل نشيد.

ولقد كانت دهشتي ـــ وما تزال ـــ اكبر من كل ما توقعت حين وجدت الاطفال في سورية، وفي غيرها من الاقطار العربية، يقبلون

على هذه الأناشيد، ويحفظونها، ويغنونها، ويتجاوبون معها في حماسة ولذة لم تخطر لي على بال.

إنهم يلحنون الأناشيد لأنفسهم ويبدعون لها الإيقاع الذي يروقهم، قبل أن تصل إليهم ملحنة من قبل الموسيقيين الذين أتعاون معهم منذ البداية لتلحين كل كلمة شعرية اكتبها للصغار، وتقديمها إليهم في عمل فني تربوي قومي متكامل.

بقي عليّ أن أورد في هذه الدراسة بعض الأناشيد التي يرددها اطفالنا في كل مكان، وللقارئ أن يحكم بنفسه لها أو عليها:

فلسطين

فلسطين داري ودرب انتصاري
تظل بلادي هوى في فؤادي
ولحناً أبيا على شفتيا

* * *

وجوهٌ غريبة بأرضي السليبه
تبيع ثماري وتحتل داري

* * *

وأعرف دربي ويرجع شعبي
إلى بيت جدي إلى دفء مهدي

* * *

فلسطين داري ودرب انتصاري

النجار...

عمّي منصورٌ نجّارْ
يضحكُ في يده المنشارْ
يعملُ يعملُ وهو يغنّي
في فمه دوماً أشعارْ
قلتُ لعمّي: عندي لعبة
اصنعْ لي بيتاً للّعبة
هزّ الراس، وقالْ:
أنا أهوى الأطفالْ
بعد قليلٍ رحتُ إليهِ
شيءٌ حلوٌ بين يديهِ
سوّاه عمي منصورْ
أحلى من بيت العصفورْ
عمي منصورٌ نجارُ
يُبدعُ في يده المنشارُ

سليمان العيسى

الرسام الصغير

أرسمُ ماما أرسم بابا

بالألوانْ

أرسم علَمي فوق القممِ

أنا فنانْ

* * *

أنا صيادُ اللون الساحرْ

أرضُ بلادي كنزُ مناظرْ

دعني أرسمْ ضوءَ النجمِ

دعني أرسمْ لون الكرمِ

اكتبْ شعراً

بالألوانْ

أحيا حراً

أنا فنانْ

سليمان العيسى

وأخيراً.. لماذا شعر الاطفال؟.. لماذا تكتب للاطفال؟..
سؤال طرح عليّ مراراً، والجواب:
لأن الصغار فرح الحياة، ومجدها الحقيقي.. لأنهم المستقبل
لأنهم ثروتنا القومية الأولى...
لأنهم الشباب الذي سيملأ الساحة غداً أو بعد غد..
لأنهم امتدادي وامتدادك في هذه الأرض..
ألا يكفي هذا ليشدني إلى اصدقائي الصغار؟... ويربطني بهم يوماً
بعد يوم؟..

* * *

إني لا اكتب للصغار لأسليهم
ربما كانت أية لعبة أو كرة صغيرة أجدى وأنفع في هذا المجال.
إني انقل إليهم تجربتي القومية..
تجربتي الإنسانية..
تجربتي الفنية..
أنقل إليهم همومي.. وأحلامي..
غنوا معي إذاً..
أيها الملايين من الأطفال الذين حرموا الضوء، والفرح،
والنشيد الجميل..
كما حرموا الثوب، والدف، والحِذاء الجميل، غنوا للحرية،
وللحب،

وللحياة..
يا أمل الحرية،
وينبوع الحب،
وفرح الحياة[1]

• • •

هذا ونشير إلى تعليق «محمود أمين العالم» حول شعر الاطفال عند سليمان العيسى:

«وقد بهرني شعر الأطفال.

وخفت في البداية أن يكون مجرد شعر تقريري إعلامي تثقيفي مع أنني في حدود هذا الشعر لست ضده. وبخاصة إذا كتب للاطفال..

ولكن عندما تأملت اكثر واكثر هذا الشعر البسيط للغاية، وجدته شعراً بالغ العمق وبالغ الدلالة الفنية.

عندما نتأمل قصيدة النجار:

عـــمـــي مـــنـــصـــور نـــجـــار
يـضـحـك فـي يـده الـمـنـشـار

فالقصيدة هنا ليست صورة تقريرية عادية...

المنشار يضحك

(١) في قضايا الشعر العربي المعاصر ـ دراسات وشهادات تونس ١٩٨٨ ص ٢٧٨-٢٨١

فأتابع هذا المنشار..

ماذا يعمل؟..

يشبه بيت العصفور أو هو أحلى منه.

فجأة تصبح دلالة هذه القصيدة البسيطة في غاية العمق ذات معنى انساني..

الإنسان وإبداع الجمال، وإبداعية الانسان نفسه.

والقصيدة الأخرى الرسام الصغير:

أرســـــم مـــــامـــــا أرســـــم بـــســـابـــــا

بـــــــالألــــــوان

أرســــم عــــلــــمــــي فــــوق الـــقـــمـــم

أنــــــا فــــنــــــان

القصيدة من أولها إلى آخرها ــ هي علاقة بين اللون والحرية والعلم الذي فوق القمم.

والقيم دخلت من غير تحديد فهي قيم تثقيفية كبيرة تبث بثاً ايحائياً في الطفل بشعر له المعنى الإعلامي التثقيفي ولكن بقيمة شعرية[1].

وهنا لا بد من الاستماع إلى شاعرنا وحول سعادته التي يلقاها حين يعيش مع الاطفال:

---

(١) نفسه ص ٢٨٥ .

«عندما وضعتُ بعض هذه الاناشيد، تعمدتُ وكافحتُ أن أضعها في كتب الصف الأول والثاني والثالث الابتدائية، لكي يحفظها كل طالب في المدرسة.

أنا جداً سعيد بها.

تجعلني أعيش في عالم أحقق به شيئاً من هذا الحلم الذي عشت طوال حياتي وأنا أكافح من اجله.

فالموضوع ليس موضوع كتابة، فالكتابة هي الخطوة الاولى ولعلها الخطوة الثانوية جداً بالنسبة لحياة الشعر التي أعيشها مع الاطفال».

فتح سليمان كتاب التاريخ عَرَضاً،
فتعملقت العروبة وتعملقت الايديولوجية فغنّاها...
فتح سليمان العيسى دفتر ذكرياته
عادَ طفلاً. غنى للصغار
وغنى معه الكبار.

ايمان بقاعي

٩٣/١٢/٢

طراد الكبيسي

سليمان العيسى شاعر جعل الشعر وسيلته إلى الناس. لم يجعل الشعر رسالة لذاتها، إذ ماذا يفعل الناس بالشعر إذا كانوا معذبين وجائعين..

ومع ذلك فسليمان يرى أنه لا يمكن تصور إنسانية بدون شعر، لذا جعل الشعر وسيلته المقاتلة من أجل توفير الأمن والخبز والحرية والكرامة للناس.

نذكر سليمان: كان صوتاً هادراً في الخمسينات والستينات وقبل هذا لمن هم أكبر منّا طبعاً.

وأخال أني ما أزال أسمع ذلك الصوت يترنم في جنبات الجامعات في بغداد ودمشق وفي الملتقيات والمنتديات الأخرى في شتى أقطار الوطن العربي.

سليمان يدعو الشعر: كهرباء العرب، والعرب كانت تدعو الشعر ديواناً، وأظن أن تسمية كهرباء العرب واضحة الدلالة في شعر سليمان بالذات.

قد تكون التسمية غير مقبولة من آخرين، ولكن في شعر سليمان أعتقد أن لها دلالتها، فهو الشعر الذي يجلب الناس إليه بقوته الانفعالية والعاطفية، ولا أعرف إن كان هناك فيه قوة تنويرية، أن يكتفي بإثارة الحماس، وأظن مع ذلك أن تعبير العرب، أن الشعر ديواناً، أدق وأكثر

دلالة، فهو يحفظ مآثرها ويوعّي جهّالها ويهذّب تذوقها ولهذا، فهو أخلد من شعر الانفعال أو الكهرباء.

سليمان ضد اللفظية والشكلية، بل ضد الكلمة التي لا تكون جزءاً من نسيج الوجود العربي كله.

فللأمة أوقف نفسه وحياته وشعره، منها بدأ ويبدأ وإليها يعود.

وهذا يفسر الوضوح المعبّر عن نفسه في شعر سليمان، فهو يعتبر حريته حتى في الإبداع، لهذا فهو ملتزم بهذا القدر الذي وجد نفسه فيه، وإنه لسعيدٌ بذلك، وإننا رغم قراءاته وترجماته في الآداب الأجنبية لا نكاد نجد أثراً لتلك الآداب في شعره.

إنه البدوي المكلكل على بئره، أو ما أشبه ذلك، لأنه يمتح من بئر عربية ولا يريد أساساً أن يرتوي من غير هذه البئر، وقد عبّر عن هذه المرحلة بقوله:

بقيت تجربتي الشعرية تجربة عربية تضرب بجذورها في أعماق الصحراء وترفض أن تتزيّا بغير زيها العربي الأصيل.

[...] لا نستطيع أن نقول [لسليمان] لماذا تحس وتعيش هذا؟.

لماذا شعورك هو بهذه الحرارة تجاه هذه القضية أو تلك؟..

هل إن سليمان حقق ما قاله في شعره فعلاً؟..

تلك مسألة أخرى خارج نطاق هذا البحث[1]

---

(١) في قضايا الشعر العربي المعاصر ــ دراسات وشهادات ــ تونس ١٩٨٨، ص ٢٨٣.

ادونيس

أرى أن سليمان العيسى ظاهرة في الشعر العربي، بمعنى هو أمامنا شاعر اطلع ـ كما قال لنا ـ على الشعر الأجنبي، إما بلغته الأصلية أو مترجماً إلى لغات أخرى يعرفها، ومع ذلك بقي دون أي تأثر بما قرأه. وحسب تعبيره: بقي شعره لا يتزيّا إلاّ بالزي العربي الأصيل.

وبالنسبة لي، هذه مناسبة مهمة جداً لكي أطرح عليه سؤالاً يهمني كثيراً وهو، أن كلامه هنا، يشير إلى أن هناك زياً عربياً أصيلاً للشعر، كأنه يبدو كجوهر ثابت، فهل فعلاً هناك زي عربي أصيل للشعر ثابت؟..

وعلى سبيل التبسيط أقول مثلاً:

إذا أخذنا عمر بن أبي ربيعة وأخذنا أبا العلاء المعري وكل منهما يختلف عن الآخر كلياً، فأين نجد الزيُّ العربي الأصيل، في المعرّي أو في عمر بن أبي ربيعة أو في كليهما؟ أريد أن أستفهم حول هذه المسألة.(١)

(١) نفسه، ص ٢٨٣-٢٨٤ .

أحمد عبد المعطي حجازي

علينا أن نخرج أنفسنا من هذه المتعة واللذة اللتين أغرقنا فيهما الأستاذ سليمان العيسى لكي نطرح بعض الأسئلة أو نتساءل بيننا وبين أنفسنا حول بعض المفاهيم التي عبّر عنها الأستاذ العيسى: هذه الخصوصية أو الالتزام، وإن كان هو لا يحب المصطلح، الذي نجده في شعر الأستاذ العيسى كونه شاعراً قومياً، ماذا يفرض عليه هذا الاختيار من الوجهة الفنية؟..

هل يكون الشاعر قومياً لأنه يعالج موضوعات قومية؟..

وهل يكون قومياً لأنه يتكلم عن الوحدة العربية؟..

وماذا يجب عليه أن يقول في هذا الموضوع؟..

هل يكون قومياً عندما يعبر عن انحيازه لقضية الوحدة العربية ولا يكون قومياً عندما يرفض هذا الشعار مثلاً؟..

هل يكون قومياً بفكره والتزامه الأخلاقي والسلوكي والسياسي أو هو قومي بشعره، وقوميته بشعره؟..

هل تتعدى صياغة أفكاره صياغة شعرية إلى الاختيارات الفنية التي تفرض عليه مثلاً لغة دون لغة، أداة دون أخرى؟..

لقد تحدث مثلاً عن أنه، بالرغم من ثقافته الأدبية الواسعة في اللغات الأجنبية، ظل شعره ينبع من أعماق الصحراء، وقد فسر ذلك

بأنه لم يستفد من الأسطورة الأجنبية كالأساطير اليونانية والبابلية والفينيقية إلى غير ذلك.

هل تعتبر الاستفادة من الأساطير الأجنبية ضد الشعر القومي؟..

وعندما كان يتحدث ابن الرومي، على ما أذكر، عن عطارد:

عطارد السماوي المكان أبونا حين نسبتهم أبوهم

وعطارد عند الآراميين هو إله الفن والشعر وهو الذي كان يقترحه العقاد اسماً لمجلة أبوللو ويرفض أبوللو لأن أبوللو اسم يوناني وهذا قريب من الموقف الذي يتحدث عنه الأستاذ سليمان العيسى.

وحول مسألة الواقعية الجديدة، ماذا يقصد بالضبط الأستاذ سليمان بقوله: إنه قد عبَر مختلف المدارس الفنية من الكلاسيكية إلى الرومنطيقية إلى الرمزية ولكنه لم يتأثر بالسابقة كما تأثر بالواقعية الجديدة؟[1]

(١) نفسه، ص ٢٨٤ .

جعفر ماجد

هي علاقة قديمة بشاعرنا الأستاذ العيسى منذ أيام الدراسة، فقد كنا نردد أشعاره ونتغنى بها في الخمسينات والستينات.

فسليمان العيسى في نظري، ظاهرة غريبة لأنه يمثل أنموذجاً فريداً من الشاعر الملتحم بالجمهور في القرن العشرين، وقد كانت الجماهير العربية تهتز لسليمان ولأناشيده في الاذاعات، وكانت تقرأ بلهفة متزايدة، تلك القصائد اللاهبة التي تأتينا من حين لآخر.

وذات يوم، تغير وجه العالم العربي وتغير معه وجه سليمان العيسى.

أقول: تغير، حتى لا أقول إن صوت سليمان العيسى يكاد يختفي. أنا أؤمن بصدق تجربته وأصدّقه حين يتحدث عن الأطفال رجال المستقبل ولكني أسأله: لماذا لم يحدثنا عن هذه التحولات الفكرية؟..

هل حدثت أشياء أهملتها في عرضك فرضت عليك أشكالاً معينة وأغراضاً أدبية معينة؟.. هل هذه الأحداث التي جدّت في العالم العربي هي التي صرفتك عن الجمهور الكبير إلى جمهور الأطفال؟..

إن الكبار أصبحوا لا يهتزون للأغاني التي كنتَ تغنيها لهم من قبل، بمعنى.. هل هرب عنك الجمهور ام أنت ابتعدت عنه؟..[1]

---

(١) نفسه، ص ٢٨٥ .

سليمان العيسى مجيباً

ليس الموضوع أن نتحدث عن الوحدة العربية مطلقاً. أنا لم أتحدث عن الوحدة العربية إلا من منطلق واحد، طفل ينتزع من أحضان بيته القرميدي، كما قلت، وهو في العاشرة، يحرم من بيته وأمه وأخيه. أرجع إلى قريتي بعد ثمانية وعشرين سنة. أزورها مرة واحدة. آخذ معي أطفالي تخرج القرية كلها لاستقبالي.

أول سؤال يطرح علي: من هذا؟.. اول شخص يعانقني ويقبلني. يقولون لي: من هذا؟.. أجيب: آسف لا أعرف.

يقولون لي: إنه أخوك تركته وهو في الثامنة من عمره. أصبح رجلاً وله أولاد.

- ومن هذه الثانية التي عانقتني؟..

- هي أختي الوحيدة..

أليست هذه مأساة في حد ذاتها؟.. هل يلومني أحد إذا تحدثتُ عن همي القومي بعد ذلك...

هل هذا حديث عن الوحدة العربية؟..

هل يمكن أن تكون الوحدة العربية غير هذا السؤال الذي طرح عليّ: من هذا، فلا أعرف، فإذا هو أخي، حرمني منه لا أدري مَنْ، سمُّه الاستعمار، سمُّه الاستغلال، سمُّه الكوارث التي محقتنا

وسحقتنا، لا أدري ماذا أسميه. كل ما هنالك هي أنني عشت هذا الواقع وعاشه كل منكم..

لا أزال تطفر الدمعة من عيني عندما أقرأ بعض مذكرات إخوتنا التونسيين، عندما كان الدرك الفرنسي يدخل إلى بيت الفلاح التونسي هنا، ويجلد الرجل أمام زوجته، والزوجة أمام رجلها، والأولاد والأطفال أمام أهلهم، ويخرج من البيت بعد أن يهينهم ويقلب كل شيء.

كيف تتصورون وضع أسرة من هذا النوع؟..

وقد قرأت الكثير عن ذلك في تونس وفي الجزائر وفي المغرب وفي المشرق وفي كل مكان.

في فلسطين طبعاً جرحنا الأكبر، وأنا أتحدث عن محنتي الأولى، عن لواء اسكندرون، لأن الجرح الصغير قد زاد في الجرح الكبير بعد ذلك عندما جاء الخنجر الرهيب في صدر هذه الأمة ــ خنجر فلسطين. المأساة واحدة!

الدرك الذي كان يجلد الأسرة التونسية، والدرك الذي كان يجلد الناس في قريتي، هو نفسه الدرك الأجنبي.

هو الصهيوني الذي يأتي من أعماق بولونيا أو الأرجنتين ليحتل بيت أحد أصدقائي في طول كرم أو في غزة.

أحد زملائي في جامعة الأردن يقول لي:

أنا أشتهي أن أزور بيتي الذي يحتله الآن واحد من بولونيا. هو

نفس البيت، نفس الفراش الذي كنتُ أنام عليه، وأنا أحسّ أن أزوره وأراه فقط، لأنني لا أستطيع أن أستعيده..

أليست هذه قافية لأن تكتب شعراً قومياً؟..

ثم ما هي القومية بعد ذلك إذا لم تكن كل هذه المآسي والمحن؟..

- الواقعية الشعرية الجديدة، ذكرتها عرضاً. أنا شخصياً متأثر بها كثيراً لأني وجدتها الأقرب إلى التعبير الذي أريده في هذه المرحلة، هذا المزيج من همك تضيفه إلى الواقع، هو الواقعية الشعرية التي استفدتُ منها كثيراً.

- وبالنسبة إلى الشعر الأجنبي: أنا تأثرت، وأنا تلميذ، بالشعر الاجنبي بمقدار ما تأثرت، وأنا تلميذ، بالشعر العربي أيضاً.

لوركا لا يزال يهزني كلما قرأته منذ ربع قرن إلى الآن، ولكني قلت: لم أشأ أن أتزيا بغير الزي العربي. تأثرت كثيراً بالشعر الأجنبي، وأنا مدين له بكثير من الصور والأفكار، حتى الانفعالات التي أخذتها.

لوركا مثلاً، مايا كوفسكي، لكني كنتُ مصرّاً دائماً على أن أتنفس برئتيّ كما قلت، وأن أعيش بأعصابي.

والمسألة الثانية:

فنية القصيدة: هذه مشكلة عانيتُ منها الكثير.

كيف أحرص على فنية القصيدة وعلى النبضة الغامضة الخفية في جوهر الناس؟..

الحقيقة أني كنتُ أشعر أني أكتب شعراً يضيء فيه بكثير من الفن عندما أريد أن أصل إلى قلب هؤلاء الناس الذين نحبهم.

أجد كثيراً من الحرج في ذلك، وما أزال أعزّي نفسي عن هذا كله، بأن الشعر لا يهمني، وإنما تهمني القضية.

أن يموت شعر آخر لا يهمني لكن يهمني ويؤرقني أن تموت القضية وأن يموت الحلم الذي عشت من أجله..

[أما عن الالتحام بالجمهور فأنا] كما صورت نفسي وعرّفتها:

خلية في جسد كبير، أما الكلمة، فليس من الصعب أن تلتحم بالجمهور، لأني عرفت الكلمة عندما تتحول إلى جزء من سلوكنا اليومي.

أنا لا أتصور أن أتكلم شيئاً وأعيش شيئاً آخر، الكلمة هي الإنسان[1].

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٨٦-٢٨٧ .

أقاتل باسمك العريان

«إلى وطني العربي الكبير...
أنت... عشرون وطناً... وخنجر
وأنا...»
أشدُّ عليكَ.. والخمسون تركضُ في دمي رَهَقَا
أشدُّ عليكَ.. جَمْراً يُنبتُ الواحات محترقا
أشد عليك.. قافيةً وموسيقى.
ورمزاً يأكلُ العتماتُ..
يصلب نفسه في الشمس.. عين الشمسِ.. تحديقا
أشدُّ عليك يا همّي العظيم، ويا ارتعاشَ يدي
إذا صافحتُ،يا شفتي إذا حدّثتُ، يا جسدي
أشدُّ عليكَ يا وطني الكبيرَ.. أُعيرك الحدَقا
لِتَركُضَ في عيوني، في دمي، في نبرتي، رَهَقَا

* * *

أشدُّ عليكَ.. في الخمسين.. طفلاً يكْبُرُ الألمُ
وتكبُرُ أنتَ.. والحلمُ
على قرميدِ ضيعتنا.. هو الحُلُمُ
كأني ما أزالُ على فمِ «العاصي» تراتيلا

أجرِّبُ أن أدقَّ على المحيط قصيدتي الأولى
وأنشُر نار قافيتي على اليمنِ
وأسمع في الخليج دويَّ أحلامي ويسمَعني
أنا الطفلُ الذي ما زال يكبر فيك مُختَرِقًا
فَخُذْ حَدَقي لأُبْصِرَ فيكَ، واكْبُرْ في دَمي رَهَقا.

• • •

أشدُّ عليكَ.. والناعون فوق سريرِكَ الأزلي
أذابو في أغاني الموتِ، موتِكَ حَبَّةَ المُقَلِ
أقاموا العرس بعد العرس، بين القبرِ والقبرِ
نفوكَ من الضِفافِ، من الصحارى، من مدار الحرِّ والقرِّ
وما هاجرتَ من جسدِ الرمالِ السُمْرِ، من جسدي
وموتُكَ كان أكبر من مقابرهم
وأصلبَ من خناجِرِهِمْ
وأشعر من جميع خصائدِ النَّاعين في البلدِ
فخذ حَدَقي، أشد على ثراك، أُعيرك الحَدَقا
لتركضَ في عيوني، في دمي، في نبرتي رَهَقًا.

• • •

أشدُّ عليكَ... يا حلماً أشَدُّ حقيقةً مِني
ومن جفني الذي سَهَرَتْ به الرؤيا، ومن فنّي
أشدُّ عليك.. والخمسون تهتف بي

تناديني من الاعماقْ
تمزّقُ كلُّ ما بيني وبين الحبِّ من أطواقْ
وتسكبُ في لهاتي فَجْرَكَ المسروقة يا وطني
وفي عينيكَ تتركني
وميضاً منذِراً، شلاّلَ معجزةٍ بلا زمنِ
بلا وعدٍ أجيءُ، أجيءُ، أفجَأُ دورةَ الحِقَبِ
وأسقي الأرض، أسقي الأرض، خمرةَ وحدةِ العرب

* * *

خذوا شِعري، فلست أنا الذي يبكي على لَقَبِ
ولكنّي سأكتبُ بالضبابِ، وبالترابِ، وبالدّمِ
القاني، وباللّهبِ،
ولكني سأبكي بالأظافرِ، بالسلاحِ، بكل جارحةٍ على العربِ
على أن يخرجَ العربيُّ قبلَ جميع مَنْ خرجوا من الكفن

* * *

أشدُّ عليكَ في تِشرين تُمحى دونَكَ الأبعادْ
وتخترق الصحارى والحدودُ، ويلتقي أهلي بلا ميعادْ
وتسقط كل أقنعتي
وأكتبُ بالدمِ العربي في الجولانِ أغنيتي
وأعبرُ، أعبرُ الماء الذي حَزّوا به رئتي
وقالوا: أنتَ أشطارُ

وقالوا: مصرُ لا عربٌ، ولا قُربى، ولا دارُ
ومصرُ كتونسٍ، كظفار، كالقرآنِ من جسدي
أتختارُ؟
أضوءُ الشمسِ، نبضُ العرقِ، لونُ العينِ، يُختار؟
تَحَدَّيْ يا صَلاتي الليلَ، والتابوتَ، والغرقا،
وشدّيني على الصحراءِ سيفاً يمحقُ العتماتِ، مُحْتَرِقا

• • •

كلامٌ طالما قلناهُ.. سوفَ نقولُهُ أبدا
سَنحْفُرُهُ على حجمِ اللسانِ، وحجمِ كلِّ خليّة تستوطنُ الجسدا
على حجمِ الطفولةِ والشبابِ، وتمتماتِ الجرحِ والألمِ
وحجم قصائدِ الغزلِ التي تُلقى على الرِّمَمْ..
أنا الآتي.. أنا ابنُ القهرِ.. يابسةٌ عروقُ يدي
وأحزنُ في دمي بَشَرِيّةَ الماضي وسِرَّ غَدِ
أنا الآتي.. أنا العربيُّ
سوف أقولُها أبدا
سأحْفُرها على حجمِ اللسانِ
وحجمِ كلِّ خليةٍ تتعرف الجسدا

• • •

نُقِلتُ على صليب النار من سورٍ إلى سورِ
وكنتُ رمادَ «هولاكو»

وكنتُ ذبيحَ «بلفور»
وكنتُ...
سَلُوا دَمي المسفوحَ
سلوهُ: كيف أنبتني
على قبرِ الغزاةِ مرارةً خضراء من نجدِ
يغلل شميمُها يَهْدِي . على ظمأٍ
ويستهدي.
وكيف بقيتَ يا وطني
مآذن للبروقِ.. لشمخة التاريخ، للنورِ
ومن درسٍ يمرُ الغزو في جسدي إلى درسٍ
وأبقى لون انطاكيةٍ
في جبهةِ القدسِ
وأبقى لونه غار جِراءْ
على الأرز العتيقِ..
على صَبَا بردى
على سيناءْ
وتبقى الفارسَ العربيَّ مَصْلوباً ومقتولا
تمدُّ يديكَ يا وطني
بكل كنوزِكَ الأُولى
بكل هباتِكَ الأُولى

بكل كؤوسِكَ العربيةِ الأولى.

• • •

أشدُّ عليكَ.. يا رمزاً كلحمِ الصبحِ عريانا
بِحِبْرِ طفولتي سأظلُّ أكتب فيك عطشانا
وأشرب هَمَّكَ الأوحدْ
وأوجَدُ حيثُما تُوجَدْ
أسافر تحت قُبَّتِكَ التي تعبتْ من السّفَرِ
بلا زادٍ، بلا مأوى، بلا سقفٍ، بلا جُذُرِ
أسافِرُ فيكَ يا سفري
أُعَلِّقهُ هذه الدنيا.. وما فيها
بجذعكَ، جِذْعِ نخلتِكَ التي نَسِيَتْ أعاليها
وما بَرِحَتْ تشُدُّ جُذُورُها عَظْمِي وعظمَ أبي
وتحمِلُني على موجَيْنِ مِن عطشٍ ومن غضبِ
وتحفرُ في جبين الكوكبِ المتمرِّد التَعِبِ
تباشيري أنا الآتي من النسيانْ..
من زنزانةِ الحقبِ
تباشيرَ اسمي العربي.

• • •

... أطوف على الصعاليكِ الذين مَشَوْا على كفني
وأسقيهم.. لتبدأ رحلةُ الانسان

من كَفَّيكَ يا وطني...
وأَكْبر أنتَ..
أغنى أنتَ
أخصَبُ بالعناقيدِ
بأسرارِ الضياءِ، بكلِّ أشواقِ الأغاريدِ
ألوذُ بأمِّنا الصحراءِ،
وأحمِلُها نبيذاً عَتَّقَتْهُ الأرضُ في الأرجاءِ..
أقاتِلُ باسمكَ العريانَ يَهزُمُ كُلَّ أسطورة
ويحزن كلُّ برقِ الغيبْ
ليوكدَ في حنايا الغيبِ
محيَّاكَ الذي يسقي العطاشَ السيفَ والسورةْ
أقاتل باسمكَ العريانْ
لتبدأ رحلةُ الإنسانْ
وأكتبُ أكتبُ الأشعارْ
ويبقى نَبضُكَ الجبّارْ
ينابيعي وملحَمَتي
وسرُّ النار في شفتي
أشدُّ عليك يا همِّي العظيم، أعيرُكَ الحدَقا
ويومَ تعودُ... تحمِلُني، نشيداً فيك مُختَرِقا

يا موكبَ النور

ألقيت في مهرجان عربي كبير في حلب

يلقاكِ بالدمع، دمعِ الثورةِ النغَمُ
يا أمةً... في الزنود السمر تبتسمُ!
هتفتُ بالشعرِ.. فانهالت على شفتي
خُطَى الضحايا.. ومات الشعرُ، والكَلِمُ
ورحتُ ألمحها في الدرب، قافلةً
عطشى، تَصارَعَ فيها الفجرُ والظُّلَمُ
تَشُدُّ بالكبِدِ الجوعانِ.. خُطوَتها
وبالعقيدة، لا شكوة، ولا سَأَمُ
مدَّ الطريقُ الى الأشلاءِ نظرتَه،
الى الدماءِ... فكان البعثُ، والألمُ

* * *

هتفتُ بالشعرِ... أستسقيه قافيةً
حمراءَ.. فانفجرتْ في أضلُعي الحممُ
ولاح موكبيَ الماضي.. بجبهته
عَضُّ القيود، ولسْعُ السوطِ يرتسمُ

وهَزّني في حديدِ السجن قَهقهةٌ
من الرفاقِ.. عليها الموتُ ينحطمُ
ووالغٌ في دم الأحرارِ، طاغيةٌ
ما زالَ من شَبَحِ الأحرار ينهزمُ
وعاملٌ..أسمرُ الزندينِ.. منتفِضٌ
في كوخِه ما يشاءُ البؤسُ والعَدَمُ
وقبضةٌ، فوقَ محراثٍ، مُشقّقةٌ
حصادُها الجوعُ، بعد الكَدِّ، والسَّقَمُ
وناهبٌ، وَرِمُ الأَوْداجِ، أفقدَه
بقيةَ الرشدِ.. أن يستيقظَ «الخَدَمُ»
هتفتُ بالشعر، فازْوَرَّ الهوى حَرَداً
وناءَ تحتَ هزيمِ اللفظةِ القَلَمُ
وأطرقَ الوترُ الهدّارُ.. لا ظَمَأٌ
الى النشيدِ بعينيهِ، ولا نَهَمُ
وتمتمتْ همسةٌ في الصدر محرقةٌ:
متى ـــ وقد هُيِّىءَ الميدانُ ـــ نلتحمُ؟

* * *

يا موكبَ النورِ.. من آلامِ أمتنا
ودمعها، ودماها، وهي تقتحمُ!

أيُّ الأمـانـي عـلـى جَـنـبَـيْـكَ هـادرةً

وأيُّ عِـبْءٍ عـلـى مَـتنيْـكَ يـزدحـمُ؟

رافـقـتُ دربـكَ طـفـلاً، والـهـوى لَـهـبٌ

والدربُ.. في كل خَطْوٍ شوكةٌ، ودمُ

رافـقـتُ دربـكَ.. لـم نُـخْـطىءْ رسـالـتنا

يوماً.. ولم نجترحْ في العهدِ ما يَصِمُ

مـا زلـتُ أذكـرُهـا فـي الـشـام قـافـلـةً

من الـجـيـاع..ومـا زالَ الـرفـاقُ هُـمُ

ناموا على الأرض أرض الشعب فامتزجت

بلحمهم ثورةٌ في الشعبِ تحتدِمُ

وعـضّـنـا الـجـوعُ.. فـاقـتَـتْـنا بـبـسـمـتِـنا

وهَـدَّنا الـبـردُ.. لـم تـرعَـشْ بـنـا قَـدَمُ

هـذي الـصـخـورُ.. سَـلَـكْـنـاهـا عـلـى ثِـقَـة

أنّا عليها ـــ ولـم نَـنْـدَمْ ـــ سَـنَـنْـحَـطِمُ

لـلـمِـعْـوَلِ الـصُّـلْـدِ.. عَـهْـدٌ فـي سـواعِـدِنا

أن لا يُـرَدَّ.. وفـي سـاحـاتِـنـا «صَـنَـمُ»

• • •

يا موكبَ النورِ.. غاظَ الليلَ مَطْلِعُنَا

وأتـلـعَـتْ رأسَـهـا مـن قـبـرهـا الـرِّمَـمُ

الناعقون وراءَ الركب.. هل لَهُمُ
أن يفتحوا الدربَ للأحياءِ.. هل لَهُمُ
نحن الذينَ كسَرْنا «القيدَ» عن فمِهِمْ
حتى تحرَّكَ من بعدِ الهمودِ.. فمُ
الناسجون بدمعِ الشعبِ بُردَهُمُ
والناحتون بِعُرْيِ الكوخِ قَصْرَهُمُ
والناصبون حدودَ الله «مَصْيَدَةً»
ويهمسُ الفَغْرُ في يأسٍ: أما تَخِمُوا؟
ولو تَنَبَّهَ مسلوبٌ لسارقِهِ
من الأيامَى، ومن أيتامِنا، رُجِمُوا!

• • •

يا موكبَ النورِ.. لن نلْوي أعِنَّتَنا
فاهدِرْ.. مُنَى الجيلِ في جنبيكَ تضطرمُ
الكأسُ.. عاملُنا الظامي سيرشفُها
والظلُّ.. فلاحُنا الضاحي سيقتسمُ
ونحن من شاطروا الأنغامَ مَرْقَدَها
في الطينِ.. نحن صباحُ الثورة الأَمَمُ
انظُرْ.. فما انتشرتْ في الريح زمجرةٌ
ولا محا الشمسَ لما أشرقَتْ غَمَمُ

السالخون جلودَ الشعب.. أفقدهُمْ
بقيةَ الرُشْدِ.. أن يستيقِظَ «النُّعَمُ»
وأن يَشُقَّ «عَبيدُ الأرض» طاعتَهم.
وأن تحولَ عن الأعناقِ رِجْلُهُمُ
ويرفعونَ قِلاعَ البَغْي شاهقةً
كُلُّ القلاع ــ وإنْ عَزَّتْ ــ ستنهدِمُ

* * *

ويهمسُ الساعدُ المعروقُ في وطني:
حتى مَ تَلْثِم رجْلَ الذابحِ الغَنَمُ؟
حتى مَ تبقَى «قبابُ الطين» مقبرةً
وأُسرتي.. أُسرتي في جوفها رَدَمُ؟
الى متى يتغذّى الداء مرتعشاً
طفلي ومن قبضتيّ الرزْقُ والنِّعمُ؟
والأرضُ.. أرضي التي نضَّرتُها بدمي
أليس لي في زوايا جفنها حُلُمُ؟
نحن الحُفاةُ.. لنا في الشمس حصَّتُنا
في النور، في التُّرْب في العرش الذي اقتسموا
لنا رغائبُ.. لو شقّتْ مقابرها
تَعطَّرَ السفْحُ بالإبداعِ.. والقِمَمُ

نحنُ الحفاةُ... أضأنا الأرض مَسْرَجَةً
على الكَفاف.. وصُغنا الدهر.. لو عَلموا

• • •

يا حاملي النيرِ... من أفلاذِ أمتنا
في العيش، والموت حُلْواً.. إننالكُمُ!
الثائرون... بكفٌ مهجةٌ نُذِرتْ
ضحيةً.. وبكفٌ زمجرَتْ.. قِمَمُ
الصّامدون... وغيرَ الحبٌ ما حَملُوا
والناقمون... وغيرَ الظلم... ما نَقَمُوا
وتملأُ البغيَ والأصنامَ صيحتُنَا
رُعباً.. فنُقذَفُ بهتاناً، ونُتَّهَمُ
ويَهْدِرُ الزورقُ النشوانُ منطلقاً
ويَلْعَقُ الموجُ جنبيه، ويلتطِمُ

• • •

يا حاملي النيرِ...آلامٌ رسالتُنا
وشهقةٌ، وجراحٌ ليس تُكتتَمُ!
ما راعنا «قزمٌ» في الدرب منتصبٌ
قريعُنا من تَمطَّى ـــ باسْمِهِ ـــ «القَزَمُ»
لنا، و«للغاصبِ» السفّاحِ مَلْحَمَةٌ
خَصْمُ الفريسةِ فيها البازُ والرَّخَمُ

للـمِغولِ الصَّـلْدِ عهـدٌ فـي سـواعـدنا
أن لا يَمُرَّ.. وفي هذا الثَّرىَ «صَنَمُ»

٨ تموز ١٩٥٤

أُنشودة السَّفر

صدى حديثها الدائم عن رحلةٍ طويلة

أحلُم بالسَّفَرْ
خَلْفَ الغُيومِ، والنُّجوم، والقمرْ
خَلْفَ رَذَاذِ المَوجِ والمجذافْ
وَراءَ هذا الصَّخْرِ والهجير والجفاف
الى بلادٍ يَغزِلُ الناسُ بها المطرْ
مَعاطفاً لمن يُحبُّون..
يُغنُّون الى السَّحَرْ
ويَشرَبونَ الليلَ والنبيذَ، والوَتر
ويَرقصون أينما شَاؤوا.
يُغنّون الى السَّحَرْ.
يا شاعري.. أحلُمُ بالسفرْ

* * *

أحلُم بالحياه كالربيع. كالهوى
تنداح، لا أسوار للقلب، ولا كُوى
يطلُّ منها عطشُ الصَّباحْ

يمشي بالشوك والجراحْ
يا شاعري.. أُحبُّ أنْ أطيرْ
بي ظمأٌ الى غُيومْ تنسُجُ المصيرْ
تُقلُّني في رحْلة غامضة السُّرى
أذوقُ فيها لذّة الهُوّةِ والذُّرى
أعْتصرُ الدُّنى
اكُونُ ما أنا
أحْلُم بالسّفرْ
يا شاعري، أحْلُم بالسّفرْ

* * *

عُصْفُورةُ الرمّال، والنخيلْ
تُنْذِرُني... تحلُم بالّرحيلْ
ويطرِقُ الوترْ
وتتمَشى رِعْدةٌ كالليل، كالضجرْ
تلفني، كالصمت، كالقدر
لا صوت لا أثر
لا همسة تورق في دربي ولا خبرْ

* * *

طيري وراء الموج والضباب
أعرفها عاصمة الشباب

دقت بقنصين من جنون
نوافذي ومرت السنون
وكان ردي يعرف الصباح
في مقلتيك قصة الجناح
مرّ على الوجود وارتمى
بشدْوه لطيفك الظما
يقبل الحرف الذي حمل
صلاته إليك في خجل
يا حلم الريشة والوتر
إنّا معاً ظلال للقمر
إنا معاً روحان في سفر

غدائر خولة

تَعيشُ في شَفَتي وَحياً، وفي خَلَدي
ماذا لو انْسَكَبَ الشلاّلُ فوقَ يدي؟
ألُمُّها في خيالي.. كُلَّما شَرَدَتْ
وَأُتْرِعُ الكأسَ من نَوارِها الغَرِدِ
قصيدةُ اللهِ.. لم يُبْدِعْ أرَقَّ سناً
ووَقْدَةُ الحبِّ.. لم تَخْطُرْ على كبِدِ
أُحِبّها، أتملى لَحنَها عَبَقاً
ينهَلُّ مِلْءَ دمي، يرتاحُ في جَسَدي
وأعْبُرُ الزّمَنَ الماضي بِخافِقةٍ
لأَلْتَقي مَعَها في شُرْفَةِ الأبدِ
غريزةٌ كَدُموعِ الفجرِ، رائعةٌ
كدفقةِ الوحْيِ.. فكُتْهُ يَدا رَصَدِ
نَثَرْتُها في خيالي ألفَ ساقية
وجَدْوَلَ بحنينِ النورِ مُتَّقِدِ
أرسلتها خُصَلاً ظَمْأى مُرفرِفَةً
وضعتُ في غابةٍ مجنونةِ الغَيَدِ
ورُحتُ أنسُجُ ضوءَ الشمس أغنيةً

وأملأُ الأرض بالنُّعمى وبالرّغدِ
إذا تموّجتِ في المِرآةِ ذاتَ ضحىً
يا غابةَ النورِ.. يا شلالَهُ الأبدي
ضُمّي يَدَيْكِ على قيثارةٍ وُلدَتْ
مَعَ الربيعِ.. ولحنٍ للربيعِ صَدِي
ضُمّي يَدَيْكِ.. أُسَلْسِلْ في عبيرهما
رَوائعَ اللهِ من شِعْري، ومن سَهَدي
لي مَرفآن وَراءَ الغَيب.. عندهما
أَلْقَيْتُ يومي، وأمسي، والهوى، وغدي
بُحَيْرتَان..
وزَادي منْ صفائهما
لَمْحٌ، وأُغْنِيَةٌ عَصْماءُ
لم أزِدِ
قصيدةٌ أنْتِ..
أُغْفي عند شاطئها
على شُعاع...
على حلم..
أضم يدي..

القرية ومُنى

إلى صديقة الشاعر «منى» بعدة رسالة وغياب
من قريتها النائمة في حضن الجبل

حُلوٌ كالحُبِّ عِتابُ مُنَى!
أهلاً بخيالك... طفلَتنا
يا للذِّكرى.. تَطوي الزمنَا
وتُجدِّدُ شَطْراً... من عُمري!
أيّام عَصَفنا... في الدنيا
لَهَباً، ورغائبَ من جمرِ
أيامَ تَصبُّانا الجَبَلُ
والخدُّ الأسمرُ، والغَزَلُ
وليالي الغَزيةِ، والزَّجلُ
إذْ نَبدؤُها عند العصرِ!
ويضيعُ الموكبُ في عُرُسٍ
ولِسُكرٍ يصحو من سُكرِ
بالروحِ... صباباتٌ نشْوَى
خفقت بالحب.. كما نَهوى
كانت، بل ما زالَتْ سَلْوى

لـكـفـاحٍ، مُـلـتَـهِـبٍ، مُـرّ!
خُضناهُ، في الشوكِ الدامي
ثـوراتِ جـراحـاتٍ حُـمْـرِ

فـي كـلِّ مَـعْـلَـمٍ أو دَرْبِ
أصـداءٌ.. مـن مَـرَحٍ عَـذْبِ
وخيالٌ.. يومِىءُ لِلصَّحْبِ
أنّي.. لَمْ أَقْوَ على الهَجْرِ
عـودوا.. فـالـقـريةُ بـعـدكـمُ
قد أَزْهَقَها.. صَمْتُ القبرِ

مضَتِ الذكرى.. عاماً، عاما
وبـقـينا فـيـهـا.. أنـغـامـا
قِصَصاً للحُبِّ.. وأحلاما
بـالـريـف وفـتـنـتـه، تُـغْـري!
قِصَصاً.. لا تَبْلَى جِدَّتُها
أَفَتبلى.. وهي صبا الدهرِ؟

أصَـحـيـحٌ أنَّ مُـنَـى فِـتَنْ؟
قـد فَـتَّـحَ نـضْـرَتَـهـا الزَّمَـنُ
وافـتـرَّ عـنِ الـوَرْدِ الـغُـصُـنُ
ومـشَـى لـلـروضـةِ بـالـسـرّ
فـاذا الـحـسـنـاءُ.. مليكتُها

وأمـيـرةُ أحـلام الـزَّهْـر

أصحيحٌ حسنائي عَتْبُ؟
وجَفاءُ الشُّعْرِ هو الذَّنْبُ
في ضيعتها.. وُلِدَ الحُبُّ
وترعْرَعَ.. في القمم الشُمْرِ
وحيالَ النّبع. عَرَفْتُ الوحيْ
ــ وفوقَ ملاعبِه الخُضْرِ
قَسَماً.. بِغدائِرِكِ السودِ
عُنقُودٌ.. لاذَ بعنقودِ
وبِرفّتِها.. فوقَ الجيدِ
خُصَلاً تتَعطّفُ في كِبْرِ
لم تبرحْ أطيافُ الماضي
أُغرودةَ شوقٍ.. في صدري
لم أَنْسَ الضيعةَ.. والسَّفْحا
نتخطَّفُهُ.. لَمْحاً.. لَمْحا
وخُطانا.. تستَبِقُ الصُّبْحا
ونطيرُ.. بأَجْنِحةِ الفَجْرِ
لِنوافيكُم... بقصائدنا
ولنُسْكِرَ.. آلِهَةَ الشعرِ
ويمورُ البيتُ الحُلْوُ بنا

وتُجاذِبُنا الضّحكاتِ.. مُنَى
وتُعربِدُ كأسٌ.. في يدِنا
ونَضيعُ.. بنشوتِها البِكْرِ
فاذا الدنيا.. نَغَمٌ عَذْبٌ
من ثَغْر طارَ.. إلى ثغْر
لم أنسَ الليلَ.. وقد جُنّا
بملاحمَ.. رَدَّدها.. عنّا
وصدى «الشّبابةِ» هلْ رنّا
أَحْلَى من عاصفة السّحري؟
أو هُدْهِدَ يوماً سَمْعُ مُنى
بأرَقَّ، وأندى من شعْري
أَسأَلت الوادي المسحورا
والعِطْرَ عليه منثورا!
والذّروةَ لملَمتِ النورا
والأُفْقُ كشَعْشَعةِ الخمر
أفتنبِضُ، ثَمّةَ، نابضةٌ
إلاّ لِتَردّد في صدري؟
أشتاقُ القريةَ، وَالريفا
وأُحِبُّ سنابلةَ الهيفَا
والزهْرَ يُفَوِّفُ تفويفا

عَطَفاتِ الجَدْولِ، والنهْرِ
والغابةَ تَشْخَصُ من بُعُدِ
كاللُّجَّةِ في قَلْبِ البحرِ
أَفَيذْكُرنا راعي التلْ؟
وخِرافٌ تَنْعَمُ بالغلْ
أوْ تَرْقى الهَضْبُ على مَهْلِ
فَتلوحُ لآلىءَ في نَحْرِ
ونُغنّيها فترى فينا
رُغياناً أغْرَقَ في القَفْرِ
ويَمُرُّ كطَيفٍ لَمّاحِ
في الربوةِ مِعْوَلُ فَلاّحِ
يهوي بجبينٍ نَضّاحِ
في الأرضِ البُورِ وفي الصَّخرِ
ويُقَطِّرُ مُهْجَتَهُ عَرَقاً
لِتُضيءَ ثُريّا في قَصْرِ
أفَيذْكُرنا.. يومُ العيدِ؟
و «الدَّبكةُ» بنتُ أناشيدي
والبَيدرُ.. رُصِّعَ بالغِيدِ
وأَدَلَّ بهنّ على الزُّهْرِ
هل كنا نَرْقُصُ يَوْمَئِذٍ

أم نَسْبَحُ في ضوءِ البدرِ؟

أحلامٌ زاهيةٌ أبدا

عاشَتْ لَهَباً فينا، ونَدَى

وتركناها لَحْناً غَرِدا

وحياةٌ ضاقَتْ بالأَسْرِ

فمضَتْ لتفجُرَ ثورتَها

في أحضانِ الجَبَلِ الوَعْرِ

سَنعودُ إلى النَّبْعِ الصافي

ونَسيرُ مَعَ الراعي الحافي

بأريجِ العِطْرِ الهَفْهافِ

لن تُحْطَمَ أغلالُ الشَّرِّ

سنعودُ لِنَبْدأ ثورتَنا

في كوخِ الحطّابِ المُزْرِي

١٩٥٣

أمشي.. وتنأين

انشدت في مهرجان الشعر الخامس الذي
أقامه اتحاد الأدباء والكتاب العرب بصنعاء..
في ١- ١٢- ١٩٨١

قال شاعرنا العربيُّ القديم:

«لا بُدَّ من صنعا.. وإنْ طالَ السَّفَر»[١]
ماذَا منَ الشُّهقَةِ الحمراءِ أَحتزنُ؟
أَمشي وتَنأَينَ يا صنعاءُ، يا عَدَنُ
تَقَصَّفَ العمرُ في جَفني وفي شَفتي
وما تَزالُ وراءَ الدمعةِ اليَمَنُ
أمشي وتَنأينَ.. هَلْ كان الهوى عَبثاً؟
وهل تَلازمَ فيَّ المَيْتُ والكفَنُ؟
أمشي.. وتَنأين.. يا للحُلْم أعصرُهُ
شِعراً، ويَعصِرني يأساً، وأحتضِنُ!
تَباركَ الحُزْنُ..
يُغويِ جمرتي أبداً

---

(١) شطر البيت هذا للإمام الشافعي.

إذَا انتهَى بالرَّمادِ اليأسُ والحزنُ
ماذا منَ الشهقاتِ الحُمرِ قد تَركت
ليَ الدروبُ، ومَن حَلوُا ومن طعنوا؟
ماذا؟
أَلِفتُ الشرابَ المُرَّ في حَدَقي
وما كفَرتُ..
تَرَدَّى الكفرَ من جَبُنُوا
تَساقَطُوا في البريقِ المسخِ واتَّشحوا
بالكبرياء، وفي تمزيقكِ ارتُهِنوا
لتنفضنَّ تراب القبر عن شفتي
للهامدين يغطي الأرض يا يَمَنُ
قيامة الباصقين الدمّ قد أزفت
هيّا انفخي..
بيدينا الصور يا عدن
هيّا انفُخي..
ما أَتَيتُ الأرض من عَدَمٍ
هنا.. بِعينيَّ يوماً أبصَرَ الزَّمَنُ
الدهرُ نحنُ صنَعنا أبجديتَه
في كل وارفةٍ منه لنا فَنَنُ
لا أكذبُ الفلَكَ الدوَّارَ، كاسِفَةٌ

شَمسِي، ويَصطَرِعان: الضوءُ والدَّرنُ
يا حافري قبرنا.. والليلُ مُلكُهمُ
بين المحيطين نَعشٌ ليسَ ينذَفِنُ
أمشي.. وتنأينَ
ما جَدَّفتُ بالإسراء
لا بُدَّ، لا بُدَّ يا صنعاءُ من صنعاءْ
صنعاءُ.. يا كَبوةَ الأيّامْ
يا حُلوَةَ القِمَمِ الخرساءِ والأنسامْ
يا دمعةَ الضوءِ في التاريخِ والأرحامْ
«مليحةٌ.. عاشِقَاها السلُّ والجَرَبُ»[1]
قال ابنُها..
صَفَقتَ للكِلْمَةِ العَرَبُ
لا تَغضبي.. لم يكُن شَطٌّ بلا أنواءْ
لم يَحيَ قلبٌ بلا بَلوى ولا غَمّاءْ
وما عَرَفتُ بلاداً قطٌّ يا صنعاء
تنزّلتْ جَنَّةٌ خضراء
من السماءِ.. تدلّتْ جَنَّةٌ خَضْراءْ
ولم تَمُرّ بها آهٌ ولا بَأساءْ
«مليحةٌ.. عاشقَاها السلُّ والجَرَبُ»

---

(١) الشطر من قصيدة للشاعر اليمني عبدالله البردوني.

أحِبُّها.. تِلكَ أرضي..
يَنْتَهي العَطَبُ
يوماً.. وينشقُّ عن ثاراته الكَفَنُ
ينشَقُّ عن لحده المَوؤودُ يا عَدَنُ
تجري الرياحُ بما تختارُهُ السّفُنُ

• • •

لم أعرِفِ الأُحجيَاتِ الزُّرقَ في قلَمي
اسمُ الشقاءِ الذي أقتاتُهُ الوَطَنُ
أُريدها بوضوح الخُبزِ أُغنيتي
والجوعِ والخَنجَرِ المغروزِ في رئتي
أُريدُها..
وتَدُقُّ الريحُ نافِذَتي
تَلُفُّني بِسياطِ السُخرْ
من كلِّ فجٍّ.. تَلُفُّ العُمرْ
من أنت؟ طفلٌ بلا مأوى
صوتٌ.. بلا جدوى
وعدٌ.. ولا واعِدْ
عَزمٌ.. ولا ساعدْ
منْ أنت؟ تضربُ في بَيداءَ مِن أزَلٍ
قالوا لنا.. مات فيها الضَّرعُ واللَّبَنُ

قالوا.. وأقسمَ حاديهم ومُطرِبُهمْ
هذي الملايينُ.. لا روحٌ ولا بَدَنُ
ماتَت على القَلَمِ الصُّعلُوكِ..
وانطَلَقت
بشائرُ الحِقدِ.. غطَّى الساحة العَفَنُ
أنتَ اليتيمُ على أطراف مائدة
شَتْمُ العروبةِ فيها الفنُّ واللَّسَنُ
تُجتَثُّ في عَتَماتِ الزُّورِ أُغنِيَةٌ
تقولُ: نحنُ هُنَا
تُصِرُّ: نحنُ هُنَا
تُسقَى وتُطعَمُ أغلالاً..
ونحنُ هُنَا
تُجتَثُّ في عَتَماتِ الزّورِ كلُّ يدٍ
تمتدُّ.. يَخضَرُّ في أحلامِها غُصُنُ
مَن أنتَ؟
يا رِمَّمَ التاريخِ في وَتَري
لِيَسقُطَنَّ غداً عن جُثَّتي الكَفَنُ
لأُبلُغَنَّكَ يا شطُّ الهوى رهَقاً
تَعرِفُ دَمَهُ الأغوارُ والقُنَنُ
لأحمِلَنَّ بقايا اللحمِ في قدمي

وألتقي بابَكَ المرصودَ يائمَنُ

* * *

عفو العَمُودِ..

وعَفو الظلِّ...

قافيةٌ

تَدُقُّ صَدري. بَدَاها القَهرُ والمِحَنُ

لم أعرفِ الأُحجيَاتِ السُّودَ يا بَلدي

ولا تألّهَ في أجفانِيَ الوَسَنُ

ما كنتُ رمزاً

دَعُوني عارياً وَجَعي

دَمُ القتيلِ بأغلى الرّمزِ يُمتَهَنُ

الخنجَرانِ بِصدري[1].

كان نَزَفُهما

عُمرِي.. أُحِبُّ به طِفْلا وأضطغَنُ

الخَنجَرانِ.. ويافا مِثلُ حارَتِنا

خَلف الشَلاسِل.. لا أَهلٌ ولا سكَنُ

بعيدةٌ.. عَتَباتُ الحُلْمِ.. يا وَطني

صحراءُ يَلْهَثُ فيها الفِكرُ والفِطَنُ

---

(١) الإشارة إلى لواء الأسكندرون وفلسطين.

بـعـيـدةٌ.. أتَـقـرّاهـا بمـا تَـركـت
لـي الـسّـنـون.. ومـا أبـقـى لـيَ الزمنُ
أرتد طِفلاً..
أدُقُّ الصخر متنغِلِراً
صَحوَ الينابيعِ..
يبكي قبضتِي الوَهَنُ
إنـي أصِـرُّ عـلـى رُؤيـا تُمَـزِّقُـنـي
كـلُّ الـقـرابـين فـي نـيـرانِـهـا امتُـحِـنُـوا
عَـفْـوَ الـغِـنـاءِ.. وعَـفْـوَ الـشِّـعْـرِ..
أعشَقُهُ
هذا العِنادَ..
مَعاً.. في النّزْع نَقْتَرِنُ

الخالدون

في يوم الشهداء

نــاداهُــمُ الـبــرقُ.. فــاجْـتــازُوهُ وانْـهــمــروا
عــنــد الـشــهــيــد..تلاقــى الــلــهُ والـبـشـرُ
نــاداهُــمُ الــمــوتُ.. فــاخــتــاروه أُغْــنــيــةً
خـضـراء.. مـا مـسّـهـا عُـودٌ ولا وتـرُ
تَـقَـدَّسَ الـمَـطَـرُ الـمـجـدولُ صـاعـقـةً
وزَنْبَقاً.. يا شُموخَ الأرضِ... يا مطرُ
لا تُـغْـلِـقـي قَـبْـضَـةَ الـتـاريـخ عـن غـدِنـا
أطفالُكِ السُّمْرُ يا صَحْراءُ قد كبرُوا
ريشٌ على صَهَواتِ الريحِ.. فَجّرها
بالـمُـعْـجزات.. وريـشٌ راحَ يـنـتـظـرُ

• • •

تشرينُ.. يا موْعِدَ الفُرسانِ.. يا قَدَراً
يجثو على قَدَمي مِيلادِهِ القَدرُ
أطـلـقـتـهـا مـن جـحـيـم الـيـأس قـافـلـةً
من العطَاشِ.. بقنْديلِ الضُّحى كَفَروا

بكرمة الضوء.. كانت كلُّ فارقةٍ
على حزيران، يا تشرينُ، تنتحرُ
أطلقتها.. فسماواتي على بردى
سكرى.. تعانَق فيها الحبُّ والخَطَرُ
تعانَق النسْرُ والتاريخُ مَلْحمةً
وكبْرَ العُشْبُ واليَنْبوعُ والحَجَرُ
تَعانَقَ الفارسُ المَقدود من أَلَمٍ
والتلُّ.. فالعاشقانِ التلُّ والنّسرُ
وأينعتْ بالدّم الجولانُ.. وانعفَرتْ
سيناءُ.. يا رَوعةَ الإكليلِ ينعفرُ
سرُ الصّحارى.. وسلْها كُلّما يَبِستْ
من أينَ يَنْبُعُ فيها الظلُّ والشجرُ
من أين؟ قالوا: كرومُ الصيف قد عَقمَتْ
من أين.. كلُّ نبيذِ المجدِ يُعْتَصَرُ؟

* * *

الخالدون.. على أهْدابِنا نَبَتُوا
عرائِشَ الزَّهْوِ.. في أحداقِنا سَهِروا
تَنامُ أَطفالُنا...تَصْحو على قِصَصٍ
ويَنْسُجون الرُؤَى منها اذا كَبروا

ويَسألون، فَنُعطِيهم، ونَسْحَرُهم
آباؤُهم فوق ما نُعطي وما سُحِروا
صارَ الصغيرُ يَمُدُّ اليومَ قامتَه
أبوه بالغَيْمة الحمراء يَعْتَمِرُ
يُلقِّنُ المعتدِي دَرْساً، يُعَلِّمُهُ
كيفَ الطريقُ الى الانسانِ يُختَصَرُ
وكيفَ تَهوِي «أساطيرٌ» هياكِلُها
في الحيِّ.. بينَ يديْ أطْفالِنا أُكَرُ
وكيفَ يَرْجِعُ حقٌّ.. ظَنَّ سارقُه
أنَّ الشرائعَ بالسكّين تندثِرُ

• • •

تشرينُ أمطارُكَ الخُضْرُ التي كتبتْ
أعمارَنا.. لم يكنْ بالأمس لي عُمُرُ
دمُ الشهيدِ أعادَ اللونَ، لونَ دمي
وازْدَدْ مِلْءِ جُفُوني الضوء والبصرُ
في ساعتَيْن.. خُلِقنا كُلُّنا بَشَراً
قبلَ الشهادةِ.. لا وجهٌ ولا صورٌ
في ساعتين.. تعالتْ كِبرياؤُهما
كيف انتهى في عصورِ الغُربةِ السَّفَرُ

دمُ الشباب.. أفيقي يا بيادِرنا

على العَطاءِ.. وجُنَّ الزَّرعُ والثَّمرُ

دمُ الرُّجولة يا تشرين.. قيل لنا:

لم يَبْقَ من خالدٍ سيفٌ ولا أثَرُ

لم يَبْقَ من ضربةٍ عذراء قاصمةٍ

في ذي الفقارِ.. ولا في نَبْرةٍ عُمرُ

افْتحْ جناحَيْكَ يا تشرينُ.. مُدَّهُما

على الرياحِ.. وخَلِّ الأرضَ تستعرُ

ودَمِّرِ «الكِذبةَ الصفراءَ» دمِّرنَا

هذا القناعُ.. فما يُبقِي ولا يذَرُ

قل للهزيمة.. قُلْ للّيلِ: موعِدُنا

على التلال.. وتَدْري من سينحدِرُ

قل للحضارات.. لنْ تُمْحي بزوبعةٍ

سوداء، تطغى فتستعْلِي فتنكَسِرُ

قل للغزاة: كأسلافٍ لكم.. خَبَرٌ

أنتم على أرضِنا.. إنْ نَنْتَفِضْ.. خبَرُ

الخَنْدقانِ.. وصَلنا أمْسِ غارهما

وجُدِّدتْ في الهتاف الأسمر الصُّوَرُ

الخَندَقانِ..مَشَتْ تَطْوانُ في بردَى

واستُنْفِرَتْ فوق سرجٍ واحدٍ مُضَرُ

لم نَنطفِئ.. وكأسلافِ لكم.. خبرٌ
أنتم على رملنا.. إنْ ننتفِضْ.. خَبَرُ

* * *

يا شامُ.. مُدِّي بساطَ الحبِّ.. واحدةٌ
كأسُ العروبة.. ولْيَخْضَوضرِ الشَمَرُ
اسقي العطاشَ.. حديثُ المجدِ رائعةٌ
منَ الملاحمِ يَفْنَى دونَها السَّهَرُ
شبابنا في متونِ الريحِ أشْرِعَةٌ
وفي التِّلالِ.. دَمٌ بالنصرِ يَأتزِرُ
مدِّي بساطَ الهوى. ما زالَ في دَمِنا
من ياسَمينك كنزٌ للهوى عطرُ
وقفت في عتاب الخُلْد شامخةً
بالأنبياء تَغَطّى المَرْجُ والزَّهَرُ
يقاتلُ النسرُ.. ينسى غيرَ ملْعَبِهِ
ينسى اسمه.. في السماواتِ اسْمُهُ الظَّفَرُ
يوشوش المهرة السمراء مبتسماً
في نغلك الموتُ.. أدرِي كيفَ أنتصِرُ
أمانةُ البعث والتاريخ في عنُقي
فاشرقي في دمي يا شمسُ، يا قمرُ

* * *

تشرين.. لم ينته الشَوْطَ الذي بدأت

خيولك البيض في الميدان من نَفَروا

في خندق النار ما زلنا.. وتعرفنا

خنادقُ النار عن قُرب.. وتَذّكِرُ

الراكبون غُرورَ الأمس.. مصرعُهم

تحت الغرور.. فشقّ الدرب يا سحرُ

تعلوان في بردى.. بغدادُ في بردى

صنْعاء في بردى.. والبيت والحجرُ

قصيدةٌ نحنُ مِلْءَ الدهرِ صامتةٌ

ويَشكرُ الدهرُ كِبْراً حين تَنفَجِرُ

قصيدةٌ نحنُ.. يُمْلِيها ويُبْدِعُها

دَمُ الشهيدِ.. وجَلُّ العُودُ والوَتَرُ

لأنّنا.. وجذورُ الشمسِ في يَدِنا

نُقاتِلُ الحَلَكَ الباغي...سَننتَصِرُ

كانون الأول ١٩٧٣

يا ياسمين دمشق

بعد غارة صهيونية على دمشق

تَشقى منَ الأَزَلِ السحيق وتَسْكَرُ
ماذا أقولُ؟ وأيَّ خَمْرِكَ أَعصِرُ؟
يا ياسمينَ دِمَشْقَ.. مُدَّ ببارقي
مَطَراً.. بِمَلْحَمةِ الرسالةِ يَهدِرُ
يا ياسَمينَ دِمشقَ.. عطرُكَ أبيضٌ
وتَغَطْرَسَتْ أفْعَى فعِطْرُكَ أحمرُ
وغَضِبْتَ. فالوطَنُ الكبيرُ عَبَاءَةٌ
حطَّتْ على بَردَى. ونَسْرٌ أسمرُ
هَشَّمْتَها أُسطورةً.. وذَرَوتَها
كلُّ الغُزاةِ على العبيرِ تكسَّروا
كُلُّ الغُزاةِ.. وظلَّ قِنديلُ الهوى
أبداً على العطرِ المدلَّلِ يَسْهَرُ
كلُّ الغُزاةِ.. ولم تجفَّ منارةٌ
يا ياسمينُ.. ولا تَزحزح مِنْبَرُ
تَمتدُّ يا لون العبير جَهَنَّما
فوقَ الرمالِ.. جهنَّماً تَتَسعَّرُ

وتُقهقهُ الصحراءُ تحت نعالها
سوداءُ من قصَصِ الجريمة تُقبرُ
يا ياسمينَ دمشقَ.. طَوْقٌ واحدٌ
وطَنُ العروبة بالأريج مُسَوَّرُ
بالنار، بالغَضب المُقدس، بالرؤى
بالأنبياء من التُّرابِ تَفجروا
من كلِّ زنبقةٍ أطَلَّ مقاتلٌ
من كل سَوْسَنةٍ تحَدَّرَ خَنْجَرُ
وُلدُوا على بردى مُروج غمامةٌ
بالصاعقاتِ، وبالطُّفولةِ تُزهِرُ
وُلِدوا على سيناء مِثْلَ قصيدةٍ
في بالِ مَعجِزَةِ الرُّؤى لا تخطُرُ

• • •

يا ياسمينَ دمشق.. مِفتاحُ الضُّحى
بيدِ العبيرِ حضارةٌ لا تُقهرُ
يا قامة الغَضَبِ الذي لا ينحني
ميلادُكَ العربيُّ أخضَرُ أخضَرُ
يا ياسمينَ دِمشقَ.. وحدةُ أمةٍ
بدَمِ النُّسورِ، دَمِ النُّسورِ تُسَطَّرُ

٩ تشرين الأول ١٩٧٣

زهرة

زَهْرَةٌ مِنَ الشَفَقِ
بَرَعَمَتْ على الأُفُقِ
حلوةٌ.. كَهَيْنَمَة
في ضَفائرِ الحبقِ
غرّدَتْ على شفتي
موجةٌ من العبقِ
أورقَ العُطريقُ بها
جَنَّةً من الألقِ
إنْ يَمسَّها نَغَمٌ
بالصفاءِ يَحترقِ
ألفُ مَوْسِمٍ عَطِرٍ
في الجبينِ.. لم يُفِقِ
يومىءُ الشّذا خَجِلاً
بالمُنَضّرِ الغَدِقِ
اضفرِ النجومَ لها..
اسقها سنا الحَدَقِ
يا لَرَوْعَتيهِ ضُحىً

ما يزالُ في الغَسَقِ!
يُنكِرُ الدروبَ غداً
بالربيع.. والوَرَقِ

١٩٦٤

الجسر والمقهى الهَرِم

مهداة الى الصديق «ص.ا.» ذكرى زاويته...
في المقهى الهرم.. بدمشق.

سَقْياً للأمسِ.. أخا الجام
وسلامٌ.. يا ليلَ الشام
إلـهـامٌ.. ذاب بـإلـهـام
وكؤوسٌ تَعْبَقُ بالسَّمرَ
وشبابٌ للدنيا ظامي!

* * *

بحنايا المِزْهَرِ أنشودهْ
ذكرى من حولك مقدودَهْ
وأكـادُ أراهـا.. مـردودهْ
بصدى.. كالمُزْنِ المنهمرِ
في أرضٍ عطشى، مفؤودهْ

* * *

خذه من أعماقِ الأمسِ
لحناً تنسابُ به نفسي

وَتُصارعُ أغنيتي حِسي
فاذا أنا أَلهِيةُ القَدَرِ
واذا قيثاري في بأس!

• • •

أُفُقٌ يتكشَّفُ عن أُفُقِ
في روحٍ ظمآنٍ، قَلِقِ
ويُهيبُ الشعرُ: أَنِ انطَلِقِ
فوق الإشفاقِ، على الحذَرِ
فاذا ببياني في رَهَقِ

• • •

اللفظةُ.. يا للمأساةِ!
لو كانتْ تحمِلُ آهاتي!
وأعاصيري، وجراحاتي
وحكايةَ «مَطعَمِنا» العَسِرِ
وشواطىء قلبِكَ بالذاتِ

• • •

عُدْ بي لمَقيلِكَ في الشام
«نَفَسُ التنباك».. وأحلامي
وشرودٌ.. عَبْرَ الايام

وخواطرُ «تغيير» البشرِ
ومُخطِّطُ إنسانٍ سامي

• • •

للجسرِ، «ومقهاه» الهرم
طيفٌ في الخاطر لم يَرِم
صُوَرٌ تنثالُ على قلمي
شعراً.. لو مَرَّ على وتَرِ..
لتَفَجَّرَ نبعٌ من نَغَمِ!

• • •

إنْ عُجْتَ على المقهى..
فَــــقِـــــفِ!
وتجاهَ الساقيةِ.. انْعَطِفِ!
كرسيُّ القَشِّ على طَرَفِ
وخيوطٌ من ضوء القمرِ
وسلامُ الزهدِ على التَّرَفِ!

• • •

اجلِسْ.. تسبقْكَ «النرجيلهْ»
وأبو عدنانَ[1].. فتى حيلهْ

---

(١) صاحب المقهى.

ولقد تُعيِيكَ «التشعيلَة»
وترنّقُ «نارُك» فاصطَبرِ!
فلكل عسيرٍ.. تذليلَةْ!
ومع «النَّفَثاتِ» المؤارَةْ
يجلو المتأملُ أفكاره
ويصافحُ قلبٌ أسراره
فاذا هو في لُجّ الفكَرِ
نَغَمٌ يتلَمّسُ أوتارَهْ!

• • •

اجلس.. لا تشْك الضوضاء
مَنْ راح هناك.؟ ومن جاء
أتُحسُّ برأسك.. إعياء؟
جدْدْ «تنباكك» ينحسر
وتأمَلْ — ثمّ — الأحياء

• • •

الشارعُ قُربك والناسُ
حسٌّ تتلوه أحساسُ
مُتَعٌ للعين.. وإيناسُ
صور تجلو شَبحَ الضجر
الشارع قربك.. والناسُ!

حسناء.. ومنديلٌ شَفُّ
وفتىً بالفاقة مُلْتفُّ
وخُطىً تمضي، وخطى تقفو
وصفاءُ الأفق مدى البصَرِ
ونداءُ الحبِّ.. ألا تهفو!!

• • •

في الغيم السارحِ.. في الفَلَكِ،
في النور الساطع.. في الحلَكِ،
تغزوك بجانحتي مَلَكِ،
فيموجُ وجودُكَ بالذِّكرِ
وتغمغم: هذا الكونُ لكِ!

• • •

سمراؤكَ.. والغَزَلُ العَبِقُ
من ثغر الله به ألَقٌ؟
والليلُ.. وكأسٌ تصطفِقُ
حدثني عن باقي الخبَرِ..
في «نارِكَ» لم يبرَحْ رمَقُ

• • •

الحبُّ.. أتعرفُ ما الحبُّ؟

ما الرملُ المحرقُ.. ما القفرُ؟
وافاه على اليَبَسِ القطرُ
فأحيلَ مروجاً من زَهَر
يترقرقُ في دمها العطرُ..

• • •

الحبُّ.. وأنفاسُ الغزلِ
آمنتُ بملحمة الأزلِ
بوجودٍ ندّ عن المثلِ
بيدٍ تَتعثَّرُ بالحجرِ
فإذا هو يَخْلجُ بالأملِ!

• • •

أتروْتُ «منضدةُ الخَشَبِ»
والدفترُ.. من جرح العربِ؟
هيا.. واصدَعْ ليلَ الأدبِ
ببراعمِ إبداعٍ عطِرِ
برسائلَ.. تَرْشَحُ باللهبِ!
أيهن المتنبي والمجد؟
يهتزُّ لنبرتهِ الخلدُ؟
وطلولٌ أنطَقَها سعدُ
وتراثٌ ليس بمندثرِ

ما رفَّ لِمكْرُمةٍ بَنْدُ

* * *

والمغربُ.. مغربنا الثائرْ!
هل لبَّيتَ الصوتَ الهادِرْ؟
وسقيتَ الإعصارَ الظافِرْ
وحشدتَ الثورةَ في أَثَرِ
يَصِلُ الماضي بِسَنا الحاضِر!

* * *

اكتبْ.. اكْتُبْ..إن الجيلاَ
قد أوشكَ يَغْرقُ تضليلا
وحماقاتٍ.. وأباطيلا
من مرتزقٍ، أو مُتَّجرِ
غِرْبانٌ.. تحتلُّ الغِيلا!

* * *

لا تبرَحْ «مقهانا» الهَرِما!
أهوى فيه حتى السأَما
أهواه.. ألم يَكُ مزدحما؟
بالمُرْهَقِ مثلي والضَّجِرِ
وبمن حُرِموا.. إلا الألَما

لـي فـي جـنـبَـيْـهِ أشـبـاهُ
مـن شـعـبٍ أحـيـا بـلـواه
وأُحِـسُّ بـصـدري شـكـواه
وتـمـزُّقَـةَ بـيـد الـقَـدَرِ
لا يـذْعَ.. لـهـذا أهـواه!

• • •

جدِّدْ فـيـه نـارَ «الـنَّـفَـسِ»
وبـقـلـب الـمـأسـاةِ انـغـمـسِ
إن لم نكُ نحن سنا القَبس
في هذا الليل المعتكِرِ
وا لهْفَا.. للرَّكْبِ التَّعِس!

١٩٥٤

الفهرس